

في
مُهَيَّرَة

الأم

حكاية بنات كثير

جمالاً وجمالاً



أمنية الشرنوبى

المؤلف/ د.أمنية الشرنوبى
الطبعة الأولى: ٢٠١٥



دار مداد للنشر والتوزيع
darmedad@gmail.com

تصميم الغلاف: أ/ أحمد عاطف
مراجعة لغوية: أ/ كمال اليماني
إخراج داخلي: أ/ أسماء سمير

مداد للدعاية والإعلان
رقم الإيداع: ٢٠١٥/٣٢١٧

جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز استخدام أو طباعة أي جزء من الكتاب بأي طريقة دون
الحصول على موافقة خطية من الناشر، باستثناء حالة الاقتباس
المختصة بالدراسات النقدية أو المراجعات

في حضرة الألم ...
جمالاً و جلالاً

من وحي تجربة معاصرة
د. أمنية الشرنوبلي

Medad Book-Store

إهداء...

إلى القوارير ... إماء الله

... إلى من أكرمني الله بابتلائي فيه، واسترده عنده في "جنته" في السماء.
"عَمَر العاصي" .. القبطان الصالح

إليها..

التي هي كل أسبابي
القوية، الداعمة، الحنون
"ماجدة الشباسي" ...أمي

إلى إيمان ... التي لا أعرف عنها سوي اسمها، ولن أقابلها على
الأرض يوماً لكنها لا تغيب أبداً عن دعائي.

إلى الصابر الصادق ... الذي جاءني من الأيام البعيدة.

إلى كُثر... لا أعلمهم .. لكنني أعلم أنهم حزنوا لأجلي، وبتمنياتهم
الصادقة أشرق الشمس من جديد.

وإلى كل من ساعدني - ولو بالمشورة - في إخراج هذا العمل إلى
النور.. شيوخى، وأصحابى، وإخوتى فى الله...

Medad Book-Store

مقدمة

حينما أصابني البلاء، ولما كنت أحسبني صغيرة، وكان أبعد شيء عن تفكيري هو "مواجهة الموت".

...فُجِعت!

فُجِعَ عقلي وقلبي، كما لو أنني دُبت وأحسست بداخلي يتلاشى، ولكن، يبقى هيكل خارجي يوحى للناس بوجودي على غير الحقيقة. ربما حقًا - كما ظننت حينها- أنني قد مت، وكل ما أراه وأسمعه هو عندما انتقلت إلى العالم الآخر بحكم قوى الطبيعة الخارقة التي ما تزال في علم الغيب.

لم أفهم ماذا يعني هذا الشيء المسمى "الموت"؟

لَمْ يأتيني أنا؟ ولم يختار شريكي الصالح؟ ولم الآن؟

حسنًا.. ماذا لو لم أُرِد المضي قدمًا في هذا الواقع؟

ماذا لو مللت اللعبة وأردت تغيير القوانين الحاكمة، واستبقاء مَنْ

أُحب إلى جوارِي؟

لا أذكر كل لحظاتي الأولى؛ لأنه مازال بعض مني يصدق أنني أُعيد

إحيائي من جديد لحكمة يعلمها ربي الحليم.

في هذا الوقت.. رحلت أجزاء من ذاكرتي لتحل محلها أقسى

اللحظات التي كان لا بد أن أفتح عيني فيها، ولا أغمض جفني المتعب حتى

أرى من أثر ملاك الرحمة "عزرائيل" يقبض روحَ "عُمَر" - غفر الله له -

بكل يسر ويرحل.

أي يسر أنهى به مهمته ورحل!

وأى عسر يتوجب علي ملاقاته... وحدي!
لا تملك حينها حتى الدعاء.. فكل شيء بك يتجمد، وكل نبض بك
يستحي.

لا يقدر لسانك أن يصرخ ولا حتى الحنايا تملك النواح.
أوجزها نبي الرحمة المصطفى ﷺ وسماها "مصيبة الموت".
مصيبة.. لا يُفلح معها حيلة، ولا دهاء، ولا مكر، ولا ذكاء، ولا
بكاء. كل ما تحسب نفسك قادرًا على فعله.. لن تفعله.
صدقًا.. لا يجيد معها سوى الاستسلام التام.
الموت.. هو لحظة، لكنها الأعظم على الإطلاق، لحظة تكتظ
بويلات الفراق.

يتوقف فيها كل شيء كأنك كبست زر "توقف".. فتجمدت الدنيا!
لحظة مُهابة لا تدري كم من الوقت تبقى ولا كيف ستمر؟ ولا أي
مخاض هذا الذي يستلزم منك العبور خلاله؟
اللحظات الأولى.. أبلغ كثيرًا من رصّ أحرف أو ترادف كلمات أو
تعاقب جمل مهما بلغ بليغ أو أجاد واصف!
عندها لا تفهم .. تُصاب بالغباء..
لا تفهم معنى الصبر ولا مغزى الموت ولا حكمة السماء من هذا
القضاء، ولا تدري كيف تفعل، ولا تملك حق الرفض، ولا تستطيع به
القبول!

في حضرة الألم

هو أمر يشبه الاستحالة.. الصبر حينها فيه إعجاز لا يبلغه إلا المتقون، الذين وقر في نفوسهم مفهوم العبودية الحقة لله - عز وجل- وهو مبلغ عزيز لا يناله إلا الصديقون.

أي عقل يقبل؟

وأي شيء هذا الذي نرضى به بديلاً عن إشراق الأعبة؟!
كيف تصبر أن يتوارى صفياً القلب تحت تراب لا يُمكنك حتى من لمسها بالنظرات؟

أقسم.. لولا لطف الله وعونه ما مرت هذه الأوقات، وما كنا لننجو من هلاك محقق فيها.
ذات لحظة.. حدثني حادثٌ همس:

- أنتِ على قيد الحياة!

بُهِتُ! كيف؟

وأنا لا أراني ولا أسمعني ولا أحس بأي شيء إلا حرارة الدمع يجري في المقل.

عرفت وقتها أنني لابد أن أبدأ رحلة البحث عني وأفتش، قد أجد ذاتي.
لم يكن معي دليل عقلي يلهمني ما الخطوة الأولى ولا كيف أبدأ؟
هرعت إلى أمي أبحث عن أي كتاب لمن قد ألمه مُصابي علَّه يمد يده وينتشلني من ضياعي.. فلم تجد.

فسألت أخي عن نصيحة مكلوم أتعزى بها فتهون أوجاعي.. فزدت عليه الهمم فلم يُجب.

في حضرة الألم

بعثت أوراقى ورسائلى أبحث بين سطورها عن أى دفاء أو برد
يطغى على أنيى.. ههيات ههيات!

حينها.. وقع اليقين فى قلبي..

ما أعظمه! وما أصعب لقاءه، وما أيسر الذى يليه!
يقين وقر فى صدري.. لا مثبت ولا مُعين إلا الله وحده لا شريك له،
لن تجد يداً مُدت إليك - حتى قبل وقوع المصيبة - غير يد الله.
لكنك من أثر الجزع والفجأة تُغشى عيناك لا تنتبه إلى كم اللطف
والحنو الذى نُزل من السماء لأجلك.

هنا بعض مداد أجراه الله فى قلبي.. لك.

لكل الثكالى، والمكلمين، والحزاني، والمكروبين، والمفجوعين، فى أحبهم،
النازفة قلوبهم وأعينهم دمًا ودمعًا، وأهات لا تمل تصدح فى الفضاء
السحيق.



الفصل الأول:

" وتحسب أنك جرمٌ صغير... وفيك انطوى العالم الأكبر "
الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -

لِمَ تقرأ هذا الكتاب؟

سؤال لا بد أن تفكر فيه قبل أن تهتم بالشروع في القراءة..
سأجيبك بما أعلمه أنا حين قررت البدء.
كل ما أدريه أنني حين كتبت فكرت فيك كثيرًا، أحسست أنني أريد
أن أكون جوارك وأرفق بك.
ربما أكن لك عونًا وقت لا تجد حولك من يفهمك.. لا أردد لك "لا
تحزن".

بل من واقع تجربتي التي مازالت أثارها لا تنمحي من روحي..
أحدثك، وأعايشك ما تعانيه، وأخبرك أن هناك في جانبٍ من هذا الكون
الفسيح من يبالي لأمرك، ويدعو الله أن يذيب وجعك كما لو لم يكن يومًا.
لا يحس بك مثل من ذاق ما قد ذقتَه أنت وكتويت به.
يفهمك أضعاف ما تشاء. يفهمك؛ لأن مُعلِّمه الأمين هو ذاته
معلمك "الألم".. ودرسه نفس درسك.. لكن الفارق هو التوقيت..
ربما لحق بك أو سبقك في التعرف على الفقدان.

كتبتَه؛ محاولةً مني أن أجعلك ترى ما قد اختصك به الله عز
وجل؛ لأنك حين تفكر في شراء كتاب بهذا الاسم يعني أنك مثلي حين كنت
أقف وسط المكتبات الكبرى أبكي!!

أراني جرمًا صغيرًا تائمًا بين مئات السنين والخبرات والأعمار، ومع
هذا.. لا أحس أن منهم من يلمس روحي ويحس بمبلغ خوفي وفزعي.

كنت أشعر بالضياء!

أبحث في الكتب عن إشرافة نور تستطيع النفاذ لروحي، أو أعكف على القراءة لعلني أقرأ كلمات أجدها تربت عليّ وتزيح الهم عن كاهل عقلي.

إن كنت قد قررت قراءة كتابي.. فهذا يعني أن الألم يعرفك جيدًا وتعرفه، ربما هو يجاورك، ربما يسكنك، أو حتى أنه يأتيك زائرًا بين الحين والآخر. وهذا صنع بداخلك الفضول للتعرف على هذا الضيف - غير المرحّب - به في جُل الأوقات.

كتبت هذا لأخبرك علانية أيها الموجه:
"احزن كما تشاء".

سأحكي لك هنا كيف خضت معركة كنت أعرف أنني سأخرج منها منهكة، متعبة...

لكنه كان يرضيني شرف المحاولة، والسعي للبحث عن محبة الله، والتسليم بالقضاء.

أنا أردت البحث عن الرضا.. لا انتظار أن يأتيني ضيفًا في المساء.
إن كنت هائمَ الروح تعال..

إن كنت تعاني القسوة وجفاف نبع الوداد أقبل..

إن كان لك مع الألم ثأر.. أو أردت أن ترقق قلبك بحديث شجن؛
لترحم وتُرحم..

هَلِّمْ يا صاحب الألم.. هنا تجد مبتغاك!!

إن فعلت وقررت إكمال قراءة هذا الكتاب.. أسألك الدعاء.



"البوح... كله شفاء"
أمنية الشرنوبي

Medad Book-Store

القوارير..

أيا حبيبات الله.. يا صغيرات على الوجد العظيم..

فالتقبلن اعتذاري..

أعتذر أنني سأحيي الذكريات المحفورة في الصدور من جديد،
سأعطيها بعض النبض لتتجدس وتفسر العجيب من الأمور التي مررنا بها
جميعاً، وما زلنا كلما ومض طيف الذكرى لوهلة انفجر الدمع والأنين!
سأكتبها على الورق؛ لأنني أؤمن أن كل ما لا يكتب يموت. سأحكي
عن الأمانا دون خجل أو وجل أو أدنى شعور بالحرج. إلا أنه يساورني بعض
إحساس بالذنب أنني قد أنكأ جراحكن، وأذكركن ببعض الذي مضى.
أخشى أن يؤذيكن حديثي، ويجري دموعكن وقد كفكفتموها بعد
طول عناء وعويل.

لكنني أشفق على من ستلحق بنا ألا تجد ظلاً ترتاح فيه من قيظ
الفقد.. وما أصعبه.. وما أقساه!!

وتعامل المجتمع الأحمق وعادات التطفل السخيفة.
حبيباتي... أنا قررت البوح والوصف وإجادة القول حتى تنضب
الأحرف على شفتي؛ لأنه حين ألمَّ بي الثكل، ودخلت إلى دائرة الحزاني
والمكلومين نظرت حولي وذهلت!!

ربما لكثرة العدد.. لتكرار الألم، ولفداحة الوجد وتمائله، كأني
أمام مرآة أقف.

في حضرة الألم

لا يُصدق هذا التشابه، تباغتك نفس المشاعر الملتهبة والقلب
المثقوب، والأيام الثقيلة الرتيبة، والأحلام التي باتت سرابًا لا يصدقها
سواك، كلما جريت نحوها تبخرت في الهواء.

أشياء جميلة، بل إنها مبهرة، كانت لتملؤك فرحًا، لكنها ماعدت معك،
وكل محاولات اللحاق بها باتت هباءً!
أتعرفن يا حبيباتي..

بعض الأحيان أفكر أن الأوجاع تحب مثلنا.. مثل البشر! الوجد
ينادي بعضه بعضًا كما الأشواق!

مم خلق الله المشاعر؟ عجيب أمرها والله! تتآلف وتتعارف وتتفق
مهما بعدت المسافات أو البلدان، واختلفت الأعراق والثقافات.

شيئان لا حاجة لترجمتهما في كل بقاع الأرض:

الموسيقى والبكاء!

الحزن شديد على كل القلوب، ممرير نفس المرارة على كل
المكروبين، وأحسب أن في هذا أيضًا دليلاً على وحدانية الله عز وجل، هو
خالق كل شيء، وكل شيء عنده بمقدار.

كان كل ما أخشاه أن أكون أنا ممن تحميم الأحران؛ لأنها ما إن
تأت لا تهجر..

أتعلمن أظنها أيضًا تعرف الوفاء!

وعلى هذا الأساس، وبالاعتماد على خاصية المحبة والوفاء عند
المدعوة "الأوجاع" دعنا نتحايل عليها، ونبوح بأوجاعنا حبيسة الصدور
ليتعارفوا ويتصاحبوا ويتعاونوا على الرحيل؛ فنفرغ منهم ونستريح .. ربما!

ربما ميلي إلى بنات جنسي شيء فطري، لكنه ليس السبب الوحيد لأوجه لهن الحديث في كثير من المواضع، فلعلها دراية بهن أعمق، وبما تحويه صدورهن الهشة.

وأيضاً لأنني دهشت، ولا أبالغ حين أقول أن عدد البنات اللواتي مررن بنفس تجربتي ومازلن يعانين آثارها، وقد سبقني بأعوام وسنوات طوال، قد فاق كل توقعاتي. ويزيدني حزناً شديداً كلما رأيت رقيقة أخرى تنضم إلى هذه القائمة.

أريد أن أحكي للعالم عن أوجاعهن اللاتي امتنعن عن وصفها، إما قهراً وغلبة على أمرهن، أو خجلاً من عادات مجتمع مريض، وطمعاً في مستقبل لا يلومهن فيه الناس على ابتلاء أصاب قلوبهن يوماً ولم يخترن منه شيئاً. أو لأن الوجدع أعظم بكثير من الحكي؛ فأثرن جزاء الصابرات المثابرات في الآخرة، وزهدن الدنيا ومباهجها وزينتها.

كلها أسباب جديدة بالدعاء لكل تكلى أن يثبته الله فيما اختارت أن تسلك من دروب الحياة.

أوجه للقوارير، مرهفات الحس، رقيقات النفوس، ذوات الندوب الغائرة برقية تعازي وسلام.

لا تزهدن الحب!! أنتن الماهرات البارعات به في كل حال.. دون قلوبكن يذبل العطف ويُفرغ الحنو من كل معانيه.. أنتن أصل الحب والرضا والحياة.



"الحب هو عناق للحياة وهي بكامل أناقتهما"
إيمان صلاح

Medad Book-Store

أنا و"عُمَر" .. والضيف الثقيل..

- ذات يوم شمس جميل سألني "عُمَر":
- ماذا تتمنين مني فعله لأجلك؟
 - لا شيء.. أنا بك تحقق عندي الاكتفاء.
- والله لو نُظِّمَت مسابقة في تتويج أسعد النساء؛ لأكوننَّ أنا سيدة العالمين دون منازع.
- بعد شهرين..
- هاجر "عُمَر" إلى ربه، وحلَّ الضيف الثقيل، وأعجبه المقام.
- بعد شهر..
- مع نفسي الحزينة..
- وحيدة أبحث عن " السلوي "

بدأت مأساتي حين هاجر رفيقي إلى حيث مالا يمكنني أن أزين له حياته كما أشاء.

كنت عروسًا تنتظر قبطانًا لا يغيب عنها في البحار.. لا يقبل على قلبها شبهة حزن أو خوف أو هاجس فراق.

كانت كل المُنَى أن أرتدي له ثوبًا أبيض، أختال به ككل الأميرات، وكان للقدر كلمته.

"منتهى الجور أن تغيب حينما أنوي أن أرتدي ثوب الزفاف يا "عُمَر"!"

في حضرة الألم

هكذا ناديت في نفسي عليه يجيب.. ينفي عن نفسه المُحِبّة تهمة الخذلان.

كان منتهى القهر أن يأبى القدر ويحرمني أن أكون أميرة بعقد زواج.

كان هو أهلاً لهذه الخيلاء.. نَعَمَ الصاحب والرفيق - جزاه الله عني خير الجزاء..

فجع قلبي بهجرته إلى السماء دون استئذان من عيوني.. دون إعلامي أنه على الوعد باقٍ.. ودون نظرة منه تخبرني كم يهواني.. أو حتى نظرة عتاب أخبره فيها أنني أوهن من الغياب.. وأضعف من أن أقف على ناصية الانتظار.

ذهب عقلي، وتاهت خطواتي، وذرت الرياح كل أحلامي، وبقيت أنظر لأمنياتي الأثيرات وأتحسر على ضياعها وتحولها لسراب، وأعجب أي ظلم هذا الذي أنزلته عليّ السماء؟!

كنت أكتب بعثرات أدبية غير مفهومة، معجونة بماء العين وملح المرارة؛ لأنني كنت أريد أن أفعل شيئاً يغنيني عن الإحساس بالفراغ الممتلئ بالأحزان، كنت أبحث كالمستغيث عن قشة للنجاة.

أسأل كل مَنْ أعلم فيه الوجهة.. وكل مَنْ أعلم عنه التباهة:

- ماذا أفعل بفؤادي؟! كيف أرمم صدوعه وأطبب جروحته؟

كانت أغلب الجوابات:

- "لا تحزني".

- حسناً سأفعل.. كيف؟ لن أحزن.. لكن كيف؟ خبّروني عن الوسيلة التي

أسلكها لأصل لمقصد اللاحزن!

أقسم .. أنا أيضًا أريد ألا أحزن.

كان بصيص النور وحده الذي يأتي.. يأتي من احتمالية أن يكون
مازال صاحبي على قيد الحياة في مكان ما بعيد مهجور ربما، أو فاقداً
للذاكرة -كما في الأفلام والروايات - وسيأتي بعد حين معتذراً فأغفر له،
ونشتري منزلاً خشبياً في منطقة ساحلية ونقتات على صيد الأسماك!
فيلم جيد.. وحالم، وكان ليناسبني كثيراً لو خُبرت، لكنه قدرتي
الذي وضع النهاية وأعدّها كما يدبر رب السماء.

دارت بي الدنيا، وتم التشويش على بوصلتي الداخلية بفعل
الصدمة؛ فبقيت مكاني لا أبالي بالأيام، ولا أدري موقع قدمي، ولا كيف
يكون زماني.

تردد في خاطري قولٌ كنت أدرسه في الماضي، في كثير من
محاضرات التنمية البشرية:

"السعادة.. إرادة" .. "السعادة .. إرادة" .. "السعادة.. إرادة".

صرخت تكديباً:

- كفى! أنا أريد ولكن.. واقعي الآن يخبرني أنني حزينة، وأن قلبي يتهاوى!!
تشرق شمس كل صبح لأجدي أتلوى فزغاً وحينئذ، أتوسل لليل ألا ينجلي،
وأسأل النهار أن يطول ولا ينقضي؛ لأن كل يوم يمر يؤكد لي مالا أرغب في
معرفته أو التعايش معه.

كان صدري يحوي بركان ألم، ورجع كرب وكمد ووحد.

كيف أتجاهل كل هذا المعترك الشديد؟ كيف أدير ظهري لهذا
السجال العسير ولا أحزن؟ هل من خطوات أفعّلها؟ أي أفكار ومقترحات
ترشدني؟.

كنت حين أقع في حيرة مثل تلك سابقًا كنت أذهب لـ"عَمَر" - رحمه الله - فيأتيني بكتاب يشرح، أو بقول محفز لأفعل، أو بتدريب أؤديه فأنجح..

أما الآن.. وجدتني وحيدة ولا مناص من المواجهة القوية مع الحزن؛ فبدأت أقتفي أثر المواساة لنفسي المغدورة.

أعزبها، وأرّج عنها، ولا أتركها تعاني كضالٍ بالرمضاء لا يجد الماء. كنت أحاول جاهدة أن أستعذب مذاق الألم، ولم أكن أعلم أنني في الطريق سأتعلق به وأصاحبه!

وبدلاً من مقتته بتُّ لا أهابه، ولا أخافه، بل على العكس بت أحياناً أحتال عليه.

وقفت في محراب الألم مشدوهة.. أتلمس نور الله.. ذاك المحراب الذي ما إن خرجت منه ارتقيت، وإن مكثت فيه لم تزد إلا واحداً على عدد المتألمين داخله.

عظيم عدد الوافقين هنا بهذا المحراب، لا تكف أعين قلوبهم عن ذرف الدموع، ولا تُخفي ملامحهم كمّ العذاب الذي يقاسونه، وإن تجملوا وادعوا أنهم قادرون على مغالبة الهم.

الهم يغلب.. صدقني!

الهم يهزم الجبل فما بالكم بمن هو أضعف مخلوقات الله! يغلبك ألف مرة وكل مرة ولا يغلبه إلا ذكر الله! وذكر الله.. كرم، فيض كرم. وهو الأعظم في هذا المحراب بالذات!

مذهلة كم المنح التي يبذلها الله لنا في مقابل قليل العناء الذي نستشعره بعد المنع ووقوع المصاب الجلل.

ليس درب الحزن هين .. وليس السائرون فيه سواء.
فيه تدمي القلوب قبل الأقدام، وتتغير الملامح والأشكال، ونكتسب
صفات لم تكن تخطر لنا يوماً ببال.

فيه تكثر أقاويل وهمهمات الناس المضجرة عن تغير حالك. فعلاً..
لا شيء يعود كما كان، لا نملك القدرة ولا حتى الرغبة أن نعود حيثما كنا.
حينما نجد لذة استخلاص المنحة من رحم المحنة، حينما نُجيد
فهم بعض تدابير السماء دون وجل ولا عناء، فأني فراسة وروعة أجمل
من هذا يمكن أن توجد؟!

وصحوت ذات نهار؛ فرأيت نفسي في المرآة لا أشبهني.. لكنني أشبه
شخصاً أحب أن أكونه رغم كل الدموع التي تملأ مقلتيه، أو هذا الظل
الذي يغطي وجدانه، أشبه شخصاً يصنعه الله، صنعتي القهر من جديد
وهذبني!

ففرحت بالاختبار والاختيار، وقبلت بقدرتي أن أواجه الموت،
يصاحبني لطف الله وتدييره، وذكرى طيبة من حب "عُمَر" - أكرمه الله -
وليئنه...

وأبيتُ إلا أن أكمل الطريق لعلي " ألقاني" في آخره.



"ولتصنع على عيني"
سورة طه آية ٣٩

Medad Book-Store

مَن الزائر؟ (في معنى كلمة الفقد)

الفقد: هو اسم يدل على افتقاد الشيء، واستشعار الوحشة لغيابه. هو أن تطلبه.. تحتاج إليه فلا تجده.

تستصرخه كل ليلة فلا يلبى النداء، وتناجيه أطراف الليل تسأله لمَ غاب فلا يرجع إلا صدى صوتك يتخلله البكاء.

المفقود.. هو الذي لا يُعرف كيف يُستدل عليه، ولا ما السبيل إليه؟ كأن يختفي الجسد تحت التراب في قبر بعيد، وتبقى الأرواح إثر الأحبة تقتفي المنامات والرؤى لعلهم يأتون بها زوارًا.

الفقد.. هو أن يتحول قلبك إلى قبر يضم رفات ذكرى أعز الناس، ومع هذا لا تشعر إلا بقلبك المثقوب كأنه بلا قرار.

الفقد.. وصف بليغ لإحساسك بالضيق، موتٌ غير مُعلن للفاقد، موتٌ على مهل تحت مرأى ومسمع من نفسك، تراها تذوي ولا تملك لها أي شيء.

بل هو عين اليتيم.. اليتيم إحساس الخواء.. إحساس العراء. كأن لك سند وانكسر.

الوتد الذي كنت تتعكز عليه فجأة.. تفتت! لا ونيس ولا رفيق.. والتعرف على الشجن والحنين أمر منه لا فرار.

- متى يأتي؟

- بغتة! بغتة تجده قد حل، وأيضًا تجده قد غادر.

في حضرة الألم

تلقاه اصطحب أعز الرفقاء، وانتقى أقرب الأحبة وسافر. يحدث
قبل أن تنتبه، دونما إنذار.

يأتيك ربما في قمة سعادتك، وأنت في أوج الفرح، لا تفهم أي شيء
إلا أنه قد صار.

لا تدرك كيف تفسر الواقع، يعجز عقلك، يخبرك أن الحال تغير،
لكنه على مسيرته غير قادر. والعبث.. كل العبث أن تجبره على ذلك.
مسايرة عالم مغاير عن كل ما حدث نفسه به زماناً طويلاً. يقف
القلب رفضاً للواقع الجديد.

يتوقف عن ضخ الدماء وإحداث النبضات بعدما أصابته الصدمة
بالجمود. وأصابت العقل بالذهول، أو.. بالجنون!
حين يأتيك الزائر.. داخلك كله ينهار. وأمم وعشائر وبلدان تهدم
وتُقام.

ربما تنشأ إمبراطوريات وحضارات وأنت لا تشعر. مستقبلات
الحس عندك بمدارات الزمن تُطمس كما لو لم توجد من قبل. لا تفهم
رمز العقارب في الساعات، ولا دلائل الأرقام في الروزمونات.
فعلياً.. تكون خارج الدنيا!

بعيد في هالة غير مرئية تسكن، تبقى بها تتابع الأحداث ببطء،
وبلغة لا يفهمها مركز الإدراك في عقلك، لا يسعك إلا استرجاع ذات
اللحظة بنفس قدر المرارة، بنفس تبعات الكمد ومبلغ الاستياء، تبقى قابعاً
في قعر ذاتك لا تحدتها ولا تجيبك لو أنت فعلت.

لا تبادرها باللوم، ولا تبادلك العتب حتى لو أنت أردت.
كل شيء كان قبل هذه الوهلة الخاطفة.. يغدو سهلاً.. وكل ما هو
آت.. عظيم جلل!

تسأل نفسك ولم يحدث الفقد، وبين طياته كل هذه الضرار
والشور؟ سؤال بدهي ومشروع وطبيعي أن يتبادر لذهنك العاجز: لم
خلق الله هذا الشيء.. الفقد؟

السؤال هنا ليس إنكاراً لحق الله في ملكوته ومخلوقاته! فالأمر كله
بيديه، لكن من العبث تجاهل سؤال طاغ كهذا، تحدثنا به النفس مراراً
وتكراراً، ونترك به للشيطان مسماراً يدقُّه كل حين في يقينك بحكمة الله
وتدبيره.

الفقد.. مخلوق مثلنا، له دور يؤديه لعلم يعلمه الله وحده، يأتي
في وقته الذي حُدد باليوم والساعة.

لا أدري الجواب الشافي، لكنني أحسب أنه في لحظات السكون
المميتة تلك يختزن عقلك الكثير والكثير من المعاني والرسائل الربانية،
وتتغير بداخلك مفاهيم عديدة، لم تكن لتراها، أو تقرأها بهذا الوضوح
قبلاً.

الهالة التي كنت بها تستقبل عجائب اللطف والمنن من ربك لكنك
لا تفهم حينها، تبقى معلقة حتى يأتي وقت تبرق معانيها في حياتك، وهو ما
يفسره جميل الصفات التي تجدها في نفسك بعد حين، ولا تدري متى؟ ولا
كيف اكتسبتها؟

في حضرة الألم

أحسب أن الله يستخدمه في تعليمك خصالاً لا تعلمها عن نفسك، ويزكك من دنايا لا تلاحظ حتى وجودها فيك، الله ينتقك لذاته ومهيئك لدور له مواصفات محددة.

رب الكون.. يصنعك على عينه أيها المكلوم! ابتهج..!



Medad Book-core

" الحب كالموت يغير كل شيء "

جبران خليل جبران

Medad Book Store

كيف أكرم الضيف؟

حينها كان هي الأوحده هو أن أملأ الفراغ المخيف الذي تكون
داخلي برحيله بعدما كان يُغلف محيطي كل الأوقات.

كأنني في فضاء سحيق لا يصلني فيه شيء، اللهم إلا بعض نبضات
باكية على حالي، أسمعها بين الفنية والفنية حينما يهدأ صوت الأنين.

رغم كثرة المحبين والمُبالين.. لم أكن أراهم أو أحس بهم. كنت
أراهم كذرات تتحرك في الفراغ، تُحدث بعض الحركات، وتصدر الأصوات
نتيجة الاصطدام فقط!

أنظر لهم متمنية لو أدخل كل هذا الضجيج الذي يحدثونه داخل
صدري ليعج بالأصوات والكلام، أو حتى الصراخ والنواح، بديلاً عن هذا
السكون الذي احتلني.. وأقام!

سكون يُسلمك لليأس والخوف والوجع وتساؤلات لا تمل التكرار.
حاولت الهرب منه، لكنني كنت أتمس طريقي في المقاومة كأنني كيفية في
عتمة ظلام، لا أعلم من أين أبدأ؟ ولا كيف أخبر نفسي أننا سننجو؟ وكان
الله عوني.. ووجدت ضالتي التي فتحت لي باب فيض من العطايا التي لم
أكن أعلم عنها أي شيء.

وظهر لي سؤال مؤرق يقتلني:

هل بهذا يرقيني الله؟ أم يبتليني تعذيباً لي على جملة ذنوبي الماضية؟



"إنما يصبرهم على وجود حكمه.. علمهم بوجود
علمه"
من الحكم العطائية.

المزارع.. ودار الاختصاص

يُحكى أن رجلاً غنياً كان له مزرعة كبيرة تنتج محصولاً وفيراً، وله من الخدم والزراع الكثير.

وانقضى الشهر، وحين يوم قبض الرواتب، فجمع كل الزراع إلا واحداً، أعطى كلاً منهم نصيبه من المال؛ فسُر الرجال، وباتوا يتحاكون ويتسامرون عما سيفعله كل واحد منهم بماله.

منهم من يشتري لأولاده الألعاب والدمى.. ومنهم من يبتاع الثياب، أو يخرج في نزهة أو.. أو.. باتوا ليلتهم فرحين إلا واحداً!

كان مصدوماً من تعامل ربِّ العمل معه! كيف يفعل به هذا؟ وهو المخلص والمتفاني في عمله، ويتقن الزرع وتسوية الحشائش، واشتهر عنه ذلك؟!

ماذا يفعل بأماله التي بناها على راتبه المحروم منه الآن؟! كيف يقسو عليه ربُّ عمله هكذا؟! أهذا جزاء الإخلاص والمهارة...!

بعد انقضاء عدة أيام استدعاه ربُّ عمله، وأخبره كم يفخر به لإتقانه ومعاونته لزملائه في العمل، وأنه يحبه لذا أثار أن يمنحه راتبه وقد ضاعفه له ضعفين، ومعه نصف قيمة حصاد العام من المزرعة كلها! ألجمته المفاجأة..

أكمل صاحب المزرعة: لكنني خشيت إن فعلت ذلك على مرئى ومسمع من زملائك أن يوغر ذلك صدورهم عليك؛ فأثرت أن أعطيه لك من باب الاختصاص بيني وبينك فقط.

سأله المزارع:

- لمّ أنا؟
- وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟!
أتكرمني باجتهداك؟ وأضن عليك أنا؟ وأنا أهل الجود والكرم!
ولله - عز وجل - المثل الأعلى والأعظم!!
حين تفكر فيما منعك ربك .. تهلل أنه أدخلك باب الاختصاص، لربما اطلع
على ما في نفسك فعلم أنك أهل للتمحيص والانتقاء؛ فأكرمك بالفقد ..
ليدهشك بالعطاء.
افرح ...!



"وإنما قواهم على حمل أثقال التكليف، ورود أسرار
التصريف"
من الحكم العظائية.

سلة الزجاجات

سؤال بدهي آخر:

كيف يرضى ربي الحنون لعبده المغلوب كلَّ هذه الآلام، وهو القادر
على تجنبه إياها؟
عجيبًا!

وهل حسبت أن عذاب "يوم كآلف سنة مما تعدون" يهون إلا
ببعض العسر والشدة في أيام الدنيا المعدودات؟!

كيف نجتاز كرب الآخرة إن لم ننفق من رصيد اليسر في الدنيا؟
كيف نرتقي درجات العلا إن لم نكابد لنعلو في سلم الرضا درجة درجة
وإن اشتد الصعود بالألم!

يُحكى أنه حينما خلقنا الله أعطى كلا منا جعبة مليئة
بالزجاجات، متعادلة عند جميع الخلق، كل زجاجة كُتب عليها اسم ما
تحويه كالفرح.. البكاء.. الزواج.. المرض،..... إلخ، وهكذا من كل شيء في
الدنيا.

كل منا يعبئ من زجاجاته كما يشاء، فإن كان يسرف في الإنفاق
من زجاجة المرض.. فإن نصيبه من الصحة مازال مُدخرًا، وإن كان ينفق
من الحزن.. فرزاجته من السعادة مليئة، وهكذا...

كلُّ نصيبه مقسم بعدل منذ البداية، لا يجحد حقه أحد من
الخلق مهما اجتهد، فلا يقلق وابتئس حتى يلقي الله وهو راضٍ تمام الرضا
بما قسمه الله له.

ونحن إذ لا يكفيننا قدر معين مهما زاد من الفرح والسعادة والحبور وأمثالهم، فإننا حين تأتينا النوائب نظن أن الله قد ظلمنا _حاشاه جل وعلا_ أو نسينا وغضب علينا؛ فحرمنا رزقنا من الفرح.

ولا نذكر أن لنا نصيبًا من أصداده كالألم والفشل والجزع لا بد أن نعانيه ونجربه حتى نسلم لله الأمر كله، ونؤمن بقدرته، ونلجأ إليه، وهو القوي القادر.

الله يفعل بنا ذلك من محبته، إذ لا يبسط علينا من سعة الدنيا كيلا تلهينا عنه، وتحرمنا لذة قربه، وفرحة النظر لوجهه الكريم في الجنة حين يرضى عنا ويقبلنا في جموع العائدين الراضين بحكمته وكلمته.

للإمام ابن تيمية قول رائع يقول: "في الدنيا جنة.. من لم يدخلها لن يدخل جنة الآخرة، ألا وهي معية الله ومحبته".

فهل لنا مثل هذه الجنة في صدورنا؟ لعمرى إنني أرى أن الله يمنحنا - نحن المكلومين - ميزة الاستسلام!

يكرمنا بالفقد والمنع.. لنأنس به وحده، ونرجو صحبته ومعيته، يعلمنا كيفية مناجاته والتبتل في حضرته وملكوته.

وحدك في محنتك بدون صاحبك تكون كالتائه في صحراء جدياء لا تجد عونًا ولا ماءً، تتضافر عليك الشمس والهواء كما يفعل الحزن والكدم بقلبك؛ فتسقط وقد خارت قواك، وظننت أنك هالك لا محالة، وأن دربك قد تقطعت كل السبل المؤدية إليه؛ فتبقى ساكنًا تتابع ببطء لحظات معاناتك وأنت تكابد لتبقي قلبك نابضًا بعدما خلت منه الروح.

في حضرة الألم

تسمع الطنين في أذنيك يصمك، والأنين بداخلك يجلدك، والريح تعصف
بكبانك من الخارج فتصرخ: لا رجاء إلا بالله.. لا حول ولا قوة إلا بالله!
فيأبى رب السماء الحنان إلا أن يجيبك.. سبحانه ما أرحمه!
فيفرح بك إذ إنك ما زلت لم تستسلم للحزن، وقد سلمت أتم
التسليم للمسطور.

تعلم أنه عونك وسندك وعتادك في ضراوة حريك مع ألمك وأنيك
وفراغ وجدانك.

في لحظة النزع تلك.. تُخلق منك روح جديدة تبحث عن جنة
المعية ونعيم الصحبة، رغم هول المصاب وتبعات المخاض الأليم.
حينها تكن أنت آخر يشمك، وباتت أهم سمة من سماتك هو ألفة
الحزن، وقصر الأمل، وعدم التمسك بمكاسب الدنيا.

ما أسعدك بحصيلتك تلك لو فعلت! بل يكن تعجل أفراح الآخرة
خير عزاء لك، ولنفسك الجريحة الراضية، وعدم الجزع من شر القدر، بل
تبحث عن الحكمة الدفينة بين طياته، واليقين الكامن بين سطوره
الحزينة.

حينها تكن أنت من بين الذين يُعدُّهم الله ليرزقهم جنة الصدور.
احمد الله أنه قد منّ عليك حين فُجع قلبك، وابتلاك بالفقد، احمد الله
على نعمة "الفقد"!



"وإنما صَبَّرْهم على ما جرى، عِلْمُهم بأنه يرى"
من الحكم العطائية.

Medad Book-Store

الرحلة قصيرة

تسأل..

لماذا لم يخلقنا الله منذ البدء بهذه الخصال الحميدة، ويوفر علينا
عناء ما نلاقه؟
لأنه - سبحانه وتعالى - يحبنا كثيرًا .. لو نعلم. ولأن الأيام عجولة
تمضي سريعًا، لا نملك الكثير من الوقت لننسى، ونخطئ ونتجاوز في حق
ربنا ونفسنا حتى نتعلم ونعود للرشاد؛ لذا يختزل الله المُعلِّم لنا بعض
أعظم الدروس والعظات في ابتلاءات عظيمة.
مَثَلُ الابتلاء كمثَل المنهج المكثف مليء بالتوجيهات والتحذيرات
والتذكرة، يختصر ما قد نضيعه من الوقت في سبيل تعلم القليل فقط.

ربنا علم أننا إن عبرنا المحنة القصيرة في الدنيا، وتمت تنقيتنا
وتهيئتنا بصبر ورضا وحسن تسليم لله؛ يخصم بذلك من رصيدنا في اليوم
الذي يكون بألف؛ فنمر كرامًا كمر السحاب لا نعاني ويلات هذا اليوم
المهيب.

مَنْ قال إن كل من استراح في الدنيا، وعلا نجمه، وتيسر عيشه
فهو في عيشة راضية؟ أو أنه المسرور؟
لا تبحث أن تكون سعيدًا.. بل اهتم أن تكون راضيًا، أكرر.. المهم أن تكون
راضيًا، ففي الرضا جُل السعادة والمبتغى.

الدنيا دار كبد .. دار عسر، قليل يسرها، ومير طعم الألم بها.

الدنيا دار شقاء .. حقيقة مؤكدة!!

سؤال راودني:

لماذا نثقل على ذواتنا بدعوى أن الغد رائع؟ فنبقى بانتظار هذه الروعة والبحث عنها؟

لَمْ نخاف مواجهة الحقيقة والتأقلم على طبيعتها حتى لا تصدمنا مرة تلو الأخرى ونحن نتظاهر بالسذاجة!

بالمعنى المراد عند جموع البشر، الجمال يكمن في سهولة العيش وسعة الرزق وصحبة الأحبة. والروعة هي أن ترى ما لم تره من عجيب صنع البشر، والترحال والتقاط الصور السعيدة والضحكات العالية التي تملأ الفضاء.

من قال إن هذه هي الروعة وأن ماعداها قبيح؟ ماذا لو لم تأت بمثل ما نحسب؟ وهل بذلك نكون من الأشقياء التعساء؟
لعل الروعة التي تقصر نفوسنا عن فهمها هي الاحتياج لرب الفضاء.

هي الضيق.. واللجوء والتقرب بالبكاء، تذرف الدموع حتى تملأ بها البحور والمحيطات!

لعل الجمال هو الأانس بجوار رب المحبين، بعد غربة القلب وهجر الأحبة وطول البعاد.

لعل الله لما حسبنا أننا فهمنا الكون.. حرمانا سوء الفهم فأيقظنا بالفقد؛ ليعيدنا لجادة الحق وإدراك مغزى الحياة.

سأصدقك القول..

هي أيام شديدة العسر مليئة بالحزن والكدر، لا نصحو من كبوة إلا ويأتي وجع. ربما فقدان حبيب، أو مرض رقيق، أو غياب صديق، أو حتى أمراض الجسد والنفس.

بعض الشجن يزين الأيام لو تعلم!

بعض البكاء.. بل كثرت ترقق القلب وتلين قسوته.

البكاء يدربك على تأمل بديع صنع الله حين تهرب بعينيك بعيداً عن وجوه البشر التي تتفحصك؛ فتطيل النظر في السماء أو الأرض أو حين تنظر على امتداد البصر.

تكفي ظلال ابتسامة قبول، راضية تسكن القلب وتطمئن لكل ما يأتي به الدهر.

الحياة بسيطة، ورغم ذلك كم من مخطئ في فهمها ضل! الحياة كنهها.. الرضا عن الله في كل شيء، وكل أمر، وفي كل يوم. لا يشاغلك عن محبة الله إلا السؤال عن موعد لقائه؛ لتهدأ الأشواق.

أتدري..

صوت النحيب جميل لو تعلم!

يشبه صوت العود يتكسر خارجاً من الأوتار إلى الفضاء الرحيب كما يتلوى القلب بين الضلوع عله يجد الحبيب. أو لعله يشبه صوت

في حضرة الألم

النأي الحزين وكأنه يبكي فراق الشجرة التي انتزعَ منها ليصبح آلة عزف
تُطرب أذان السامعين.

ألهذا الحد يمتزج الفرح والحزن؟

ألهذا الحد يُبرزُ النحيب روعةَ قلوب العازفين على ألحان الدنيا

بالصبر والقناعة؟



Medad Book-5

الفصل الثاني
(المجتمع والقوانين)

Medad Book-Store

"وإنما يعينهم على حمل الأحكام، فتحُ باب
الأفهام"
من الحكم العطائية.

Medad Book-Store

خالي الشاب

كنت صغيرة لم أتجاوز السابعة عشر، جلستُ مع أمي ذات يوم وهي تعد الطعام وكان يومًا ضاحكًا، ونهارًا مشمسًا نتجاذب أطراف الحديث.

وجاء ذكر خالي الراحل - لم أره منذ ولدت - منذ أكثر من ثلاثين عامًا، سألتها من قبيل التسامر كيف عرفوا بالخبر؟
في جزء من ثنائية.. تغير وجه أمي، وغارت ضحكتها، وبرقت عيناها ولمعتا بالدموع المنهمرة في إناء الطعام!

لا أدري كيف حدث هذا؟ ولم يكن السؤال يحمل أي معنى خبيث، حينها لم أفهم إحساس أمي، ولم أعرف فداحة الجرم الذي ارتكبته في حق قلبها.

لكن لما ابتليت بمصيبة قلبي وسألني أكثرهم ذات السؤال؛ عادت الواقعة أمام عيني كما لو أنني مكان أمي.

عرفت بما أحست وقتها.. كل ما في الأمر أنني أعدت تصوير المشهد لها كما حدث.

نفس المشاعر التي خالجتها، ونفس حرارة الدموع، وذات كلمات العزاء تسمعها، بل ربما ذاته المقعد والمنزلة ظنت أنها تجلس به.

الهالة التي تُعيدك إلى يومك وساعتك المهلكة تلك، لا تستطيع منها الفكك، والدمع الذي لا تقدر على كبح جماحه فينساب!

في حضرة الألم

هراء ما يقال أن الوقت يخفي الأثر، ويقلل حدة الألم. الواقعة تبقى هي بكل ملابساتها النفسية ولو مضى ألف عام.

أحياناً أتساءل؟

هل يوم البعث حين يُرينا الله المشهد ليبلغنا منه الحكمة المؤجلة
كما خبرنا هل سنبكي قدر بكائنا، ونتوجع نفس مقدار الوجع؟
لا أدري..
لكنني أدري أنه في الدنيا يحدث هذا.



"وإنما صبرهم على أقداره، علمهم بما أودع فيها من لطفه
وإبراره"
من الحكم العطائية.

Medad Book-Store

هل أنت أحمق؟!

بحثت عن كلمة مناسبة لوصف السائل لذوي الفقد هذا السؤال.

صبركم الله.. كيف مات؟!

فو الله ما وجدت كلمة مناسبة ومعبرة غير كلمة "أحمق"، بل شديد الحمق والسخافة.

لا أدري أي رغبة تتملكه لإلقاء مثل هذا التساؤل؟ هل هو الفضول - أهلكه الله- ؟

أو أنني سأحسن الظن ولا أستبعد أن يكون حب تدبير لأقدار الله في مخلوقاته.

إن كانت الأولى.. فأنت في مأساة كبيرة، وبحاجة إلى التعافي، ابحث عن متخصص بسرعة، فهذا الداء يؤدي بصاحبه إلى التهلكة - عافاك الله-، وأول خطوات الشفاء: أن تغلق فمك بسحاب!

وأما إن كان الثاني، وهو التدبر، وتأمل أحوال الناس فهو أمر من طبيعة البشر؛ لأن النفوس تواقفة لكل ما ليس بها، تخاف من الأقدار حين تتغير، والأحوال حين تنقلب، فما إن نعلم بوقوع المصيبة لأحد حتى نتقمص دور المحققين البارعين في تتبع الآثار، لعلنا نجتهد في تجنبها فلا تأتينا ولا تصيبنا.

نكن كما القائم بأعمال النيابة، نُلقى أسئلة عن أدق التفاصيل، هي لا تعيننا في أي شيء، ولن تفيدنا مقدار ذرة، ولو احتطنا ألف مرة لوقع القدر المكتوب لا بديل!

فهل يستلزم الوقوف على حقيقة الأمر أن تعرفه من صاحب

الوجع نفسه؟

هل ضاقت بك كل السبل للبحث عما حدث إلا بسؤاله، وتجسيد

مأساته؟

يا أيها الكريم..

إن كان يريد البوح.. فاسمع، حين يريد الوصف اصمت وأنصت، تكلم معه وناقشه فيما يريد هو لا فيما ترد أنت أن تعرف، واجتهد في التفكير، لا تسأله حين تكون أكبر أمانيه أن يغمض الجفن، ولا يتبدل باطنه إلى شريط عرض يأبى أن يوقف البث المباشر من أرض الأحزان والشجون.

كونوا من روح الله الرحيم، وتمثلوا من وصفه الحنان.

لا تسألوا..

فالصمت في حرم الموت.. جلال. فالخرس عند المصيبة.. حلال.

والله حلال!



"وإنما يعينهم على حمل البلياء، وَارِدَاتُ العَطَايَا"
من الحكم العَطَائِيَّة.

Medad Book-Store

جارة جدتي

لجدتي الحبيبة جارة منذ وعيت وأنا أعرف أنها لا تحب رؤيتها، لم
أكن أدري سبب هذا الشعور نحوها.
ذات مرة حكّت لنا أمي أن هذه الجارة كانت أول من حمل خبر
خالي محمد - تقبله الله - حين توفي.
جاءتها باكية تصيح من أول البلدة:
"محمد مات في لبنان!"
في حقيقة الأمر الجارة لم تخطئ، ولم تكذب، إنما هي حامل للخبر
الحاصل بالفعل دون أدنى تدخل منها.
لربما لو تفكرنا قليلاً لوصفناها بالرحيمة أنها أبلغتها سريعاً لكي لا
تبقى على أمل كاذب أنه مازال بخير.
لكن مَنْ قال إننا نحب من يقطع عنا الأمل ولو كذباً؟
مَنْ قال إن الحقائق القاتلة التي تستنفذ من رصيد القلب في
السعادة مرغوبة؟
بقيت جدتي تكرهها..
وكان ليبقى كل ماسبق سرّاً يستعصي عليّ فهمه إلا وقد صار ما
صار من أمري، فاخترت الأسي نفسه وعاشته مثل جدتي تماماً.
خبرني وأوجز: ("عُمَر" توفي في حادث سيارة).
بداخلي حين أتحمس نفسي أجد غضباً أحرص.. شيئاً يشبه
الرفض لأسمع منه.

في حضرة الألم

أرفضه هو نفسه.. هذا "الواشي" لي بالخبر.
حتى الآن لم أحاكه عمّا يعتمل بصدري حين أراه. لا أعرف كيف
أصف شعوري؟
حيناً يظن عقلي أنه - هذا الواشي- لو لم يقل الخبر ما كان
ليصلي، أو لو لم يعرفه ما كان ليقع أصلاً وكان ليجنبني عناء الفقد.
كلما أسترجع اللحظة تتملكني رغبة قوية أن أنطق تكذيباً له،
أصرخ فيه، أقطع لسانه، أرد عليه قوله جملة واحدة، أجمه هذا الأفاك!
كم تمنيتُ لو أنه أصم أبكم!
تبقى لحظة معرفتك الخبر محفورة كالنقش في ذاكرتك لا تزول
ولا تضعف مع الأيام.
أثر السم من القول ينساب في الشريان.
وجه الواشي حين يُلقى عليك الكلام منصوب في ذهنك لا يغيب في
اليقظة ولا في الأحلام.
الأمر جدّ معقد، لا أدري كيف أصفه؟
هو بالأساس.. لا يُفسَّر!
اللفظ اللطف بالله!



"وإنما يقوهم على حمل أقداره، شهود حسن اختياره"
من الحكم العطائية.

Medad Book-Store

أعراض الجسد

خلقنا الله عز وجل من نبت آدم - عليه السلام - ليس لنا من وصف الحجر ولا الشجر ولا سمت الجدران والأبنية. أقصد الطبيعيين من البشر.

ومن وصف بني آدم أن أجسادهم تبلى، وتضمّر، وتمرض، وهكذا من العوارض الظاهرة المتغيرة.

ويحدث في حالات أن يصاب أحدهم بمرض فيظهر أثره على وجهه.. ليس عجيبيًا!

وبالقياس حين يصاب أحدهم بالفقد، ويتلى بالحزن - وارد، بل هو أمر حتمي - أن يتغير الشكل من أثر الدمع في المقلتين بأقل تقدير.

ربما نحول بعض الشيء، غياب الألق في المحيا، ضعف الشهية للطعام أو حتى انعدامها.. يمكن، رغبة في الصمت.. مباحة، مجافاة النوم وكثرة التفكير.. وارد.

كل ما يرادف ذلك من أعراض تفصح عن بعض بواطن الروح المنهكة هي أشياء مفهومة ومباحة.

ليست تستوجب تقديم وثائق ومستندات تفسرها وتشرح ما وراءها عند جموع الأسوياء.

كثير من الصحبة والجيران والأقارب حينما يلتقون بك يصرخون

متأسفين:

- لماذا تفعل هذا بحالك؟

- ماهذه الآثار والهالات السوداء تحت عينيك؟
- كيف خسرت هذا الوزن؟
- عد لسابق عهدك فقد كنت جذابًا!

سأجرب حسن الظن مرة أخرى!

وأفكر أنهم بذلك يكثرثون لأمرك، وأنت تعني لهم الكثير، لكنني أود أن أخبرهم - وهم المحبون المهتمون بك :-

لا تسمعوه عبارات مواساة جوفاء لا تحمل من التعزية قدر ما تحمل من التجريح والإمعان في نكأ الجراح.

عجيب! كيف لم يخطر على بالكم يومًا أنه بالفعل يريد أن يقتلع هذا الحزن الجاثم على صدره اقتلاعًا لا هوادة فيه!

ألم يخطر ببالكم مرة أنه يود لو يقدر أن يزيل كل آثار الدمار التي خلفها طوفان الفقد على هيئته ومضى؟
لو تعلمون كم يشتاق لسابق عهده..

بلى وربّي!! إنه يحن لصورة كان يراها في مرآته، وغدًا ذات صبح لم يجدها وأضناه البحث عنها.

هو يريد أن يشتري الألق بأعلى الأثمان لو يباع؛ ليعيد زرعه في كل الحركات والنظرات.

هو أكثركم شوقًا لسابقه، أكثركم رغبة في اقتطاع هذا الوقت من عمره، وإعادة الأحداث كما لو أن شيئًا لم يكن.

لا تُغربوه فينعزل تجنبًا للمواجهة إذ إنه مازال ضعيفًا مهبط الجناح، كسير القلب.

ليس كل الناس سواء..

ليس كلهم يحتمل رصاص النظرات، ومدارات الحديث حوله في
ثوبه - البشع - الجديد، أو مظهره المتألم "المُزري"!
سينعزل ويهرب إلى مخبئه، وقد يطول مكوثه هناك فلا يعود لا
إليكم ولا إلى نفسه، ويرتضي بوحده بديلاً.
لا تعيروه اهتماماً أكبر مما كنتم تفعلون في العادة، ولا تقصروا
عن رعايته حين يحتاج.
لا تتبعوه بالنظرات السارقة المخترقة عليه خجله، هو ليس صحيحة
جديدة في عالم الأنياء، ولا هو بكائن عجيب قرأتم عنه في الأساطير.
لا توجهوا له أمراً أن يسترد عافيته، ولا أن يكف البكاء، ولا أن
يستعيد شهيته الغائبة، والأهم.. أرجوكم.. أرجوكم،
لا تخبروه "ألا يحزن".
داروا أعينكم يرحمكم الله..
خبثوا الفزع لرؤيته..
فسبحانه لا دائم إلا وجهه!!



"وإنما صبرهم على الأقدار، كشف الحُجب
والأستار"
من الحكم العطائية.

لا تحزن

رغم جمال المعنى، وحقيقة الكلمة المقصودة، إلا أنها في موضعنا هذا تسلب إحساسًا بالضحك على سطحية الناصح بها، أو عدم إدراكه لعِظَم ما يطلب، وقسوة ما يعانیه الفاقد نفسه!

حين تزلزل الأرض، وتفور البراكين، وتهدم الحضارات، تمر أزمئة ودهورٌ قبل أن يعاد بناؤها مرة أخرى.. سُنّة كونية!
وخلال هذه الأزمنة... يترك الله لنا فسحة لنحزن.

فما بالكم بإنسان؟! أحقر مخلوقات الله في الكون حين يزلزل ترى كم يلزمه؟ وكيف لا يحزن؟
في علم التنمية البشرية يقولون:
إن السعادة.. رغبة.

على صحة القول في موضع، إلا أنني أجده مثيرًا للضحك في موضع آخر.

أن تبدأ نهارك مستبشرًا فإنك تجلب حظك السعيد، وأن تواجه عثراتك مبتسمًا تجد ما يرضيك.. كلام جميل!

كلامٌ مجردٌ أجوف، لا يسمن ولا يغني في حالة الفقد فتيلًا!

سؤال..

كيف أجذب السعادة وأنا لم أجذب الوجد؟
أتعلم؟..

كنت متعلقة ببعض حلقات الدراما الكورية، كانت تحكي قصة عاشقين كانوا معًا حتى فرقهما الموت في حادث سيارة، وكنت أحدث "عَمَر" -رحمه الله - عنهما كثيرًا، وكان هو كلما وجد لهما صورًا جديدة أحضرها إليّ؛ ليدخل السرور عليّ.

وسوس لي الشيطان الرجيم أنه لربما هي: "طاقة الجذب"، جذبت لي قدرًا يشبههما، وصار لي ما كنت أفكر به قبلاً.
أصدقك القول!..

أنا لا أعرف هل حدث هذا أم لا!!
كل ما أعرفه وأؤمن به أن أقدار الله جارية لا محالة، وأن كل ما ندعي جذبه كان قد خطه الله منذ بدء الخليقة في صحائفنا، وقد رفع القلم.

وأعرف أيضًا أن ربي أباح لي الحزن شرط الرضا.

السعادة هنا تكمن.. في الرضا.

في استسلامك وقبولك لكل ما يختاره الله خيرًا كان أو شرًا.

وأنا حزينة أشد الحزن..

راضية تمام الرضا..

فالحمد لله على المنع قبل العطاء!



"وإنما صبرهم على القضا، علمهم بأن الصبر يورث الرضا"
من الحكم العطائية.

Medad Book-Store

الصبايا

حينما قررت كتابة مثل هذا الكتاب، لم أكن أدرك كم نحن مجتمع قاسٍ، نشتاق المحبة ونلوم أصحابها، نفتقد الغرام ونلوم معتنقيه، بل.. نجلدهم بالسياط على مرئى ومسمع من الجميع، سيات اللوم والتتبع والنميمة والفضول.

ندعي أننا رُحماء ونحن مليؤون بحب التشفي واستعذاب أوجاع الناس، ويرضينا أن نرى الآخرين وهم يموتون حزناً.

وليت الأمر يقتصر على المشاهدة وكثرة التساؤل المريب!

بل نُلقي على أكتافهم أحمالاً فوق أحمالهم بكثرة الظن وسوء القول وإلقاء علامات التعجب على الدوام.

في مجتمعاتنا الفقيرة التي يزعم أهلها أنهم عباد الله لا نرحم ضعف القوارير الثكالي!

يعجبنا تأمل أجزاء القارورة الزجاجية وتبعثرها، ولا مانع أن نزيد من دغدغة البقايا المتعلقة ببعضها حتى يحلو الكسر، وتزداد متعة مشاهدة للممة الأشلاء.

يُشعرنا هذا بحقيقة كاذبة عن أنفسنا أننا طيبي القلوب، وما هي بحقيقة.. في أغلب الأحيان.

الفضول هو الحقيقة.. لو صدقنا القول.

ما أبشع حقيقة نفوسنا!

وأغلب الظن أننا لا نفهم الفيلم الدائر، يحيرنا أن تعشق امرأةً
روح رجلٍ ولا أمل لها في جسده.

يُخجلنا أن يصل بين الروح واصلٍ ليس من مفرداته الجسد.
هذه الحالة تشوش على أفكارنا التي تضطرب بين الزواج والحب
والنكاح!

يصدمنا أن تبقى عذراء أو أرملة منتشية القلب بوصل محبوبها
الغائب ولا أمل لها في اللقاء.. اللقاء الجسدي.

كيف؟

لماذا؟

هل يمكن أن يحدث هذا؟

هذا سؤال يتبادر إلى أذهاننا فورًا حتى قبل أن نُلقي كلمات
العزاء، أو نربت على الظهر المنحني من ثقل الفاجعة، قبل أن نترك الصدر
يُفضي أحزانه ولهيب الإشتياق، نسأل:

هل تتزوج؟ هل تزهد الإنجاب؟

كيف تكون علاقتها بالرجال؟

هل تصبح معقدة تمتنع عن الحب؟

كيف تملأ الفراغ؟ هل تبحث عن بديل؟

إلى آخر هذه التساؤلات السخيفة...

لا أدري حقًا فيما تفيد السائل، ولا فيما يضره جهله بها!

كم من عنف تُظهره أسئلتنا حينها!

آهٍ منه قُبْحُ يتبدى للعيان، ولا تخطئه سذاجة ساذج!

لو أن الأمر اقتصر على عنف أرواحنا الداخلي ما شق الأمر، فالله يتكفل بنا، وقد يرزقنا يوماً بعض الجمال من روحه..

لكن المأساة التي تغلف عالمنا أننا نتمادى إلى حد إيذاء المكلومة بهذه الأسئلة الجوفاء، الطاعنة في قلبها بخنجر مسموم يبقى أثره وتبقى ندبات بعده تذكرها بمدى القسوة حولها، وتعيدها إلى ذكرى الحبيب الراحل الذي كانت تلجأ إليه في مثل هذه الحالات..

حالات الإحساس بالوحدة والحاجة إلى الحنو والدعم وشد الأزر.
تذكرنا الندبات إلى أي حد هزأت بنا إنسانيتنا، واضمحلحت حتى قدرنا على جرح قلب ليس به مكان لمخيطة، ينزف منذ المصاب، ولو مضت عشرات الأعوام.

لماذا نسأل؟

ترى هل يغير الجواب الواقع؟..

الواقع الذي ترفض الصبية تصديقه ومعايشته..

لو أننا منحنا أنفسنا قليلاً من التروي قبل إسداء الطعنات..

لو أننا تحليلنا ببعض الرحمة عند صقل الخناجر!

لو أننا نكتفي.. بالصمت رهبة للموت!

بالصمت.. رافة بالملتاع!

لو أننا نكتفي بالدعاء!

مدارات الحديث كثيرة، انتقين منها الجيد والجديد، ولكن..

أستحلفكن بالله لا تسألن مثل هذا، لا تعلمن أي ليل يمضي رتيباً جلاذاً.

وكم من عاشق مات وبقيت بعده محبوبته على إثره لا تبرح حزنها

ولا تغادر الذكريات.

وكم من عين تربصت بها لا تمنحها فسحة من البراح لتتحرر
روحها من عذابات الوحدة والشوق إلى رفيق يشاركها كل شيء حتى هذا
الذي لا تحسد عليه.

مصمصة شفاهكم لأجلها لن تُعيد فقيدها.. ونظرات التأثر عند
سماع التفاصيل لن تزيح همومها.. هي أغني الناس عن هذا، وأقلهم
احتياجًا لمثل هذا الدعم القائم على تجسيد الراحل في ثياب الموت؛ إذ
إنها لا تريد إلا أن تراه كما كان في أحلى وصف وأبهى حُلة.

رحماكم.. فالمصيبة لا تفرق.

ولكلٍ قدرٌ محتومٌ لأبد ملاقيه..

فافعلوا ماتحبون أن يُفعل بكم إن ألمت بكم نازلة.



Medad

"وإنما يصبرهم على أفعاله، ظهوره عليهم بوجود جماله"
من الحكم العطائية.

Medad Book-Store

الشافعي والبنات

قال الإمام الشافعي- رحمه الله - :

"إن الله يغار على قلبك من التعلق بغيره فيصدك عنه ويذيقك
مرارة الفقد حتى ترجع إليه".
صدق الشافعي!! وكذب المرددون. صدق الإمام وأساء تفسيره
السامعون.

حين وقع ما وقع من الأقدار، ولما كتب الله أن يجمع بيني وبين
"عَمْر" برباط القلوب، كانت كلما رأيتي قريبة أو بعيدة وترى أثر السهد على
أجفاني، والضعف على جسدي، ونحولي وصمتي الذي إن قطعته كان
بالدعاء لـ"عَمْر" - أكرمه الله - .

فتنطق مقالة الشافعي وكأنها تخبرني أن عاقبة "فعلتي" كان هذا
الجزء!

كنت لا أقدر على النطق حينها، ولا تسعفني الكلمات لتتشكل
واضحة على لساني وتشرح أفكاري.

وقتها - والله- لو رددت لأغلظت عليهن بالرد، ولما تركت لهن
موضعاً في الحديث.

أي غشاء هذا الذي تتقول به؟

وأي عبث أفكار به تجمع وتفسر الأمور؟

سأحسن الظن مجدداً..

لربما أزدت مواساتي فخانتها الكلمات، وربما هي لا تفهم مقصد القول بالأساس وتردده جهلاً!

يا عزيزتي:

حاشا الله أن يرزق ثم يمنع فقط ليعذب!
حاشاه أن يمنح الحب للأفئدة ثم يذيقك مر الفراق؛ لأنه لا يريدك أن تحبي سواه.

مَنْ علمك هذا؟ وهل كان الحب إلا عطية رب المحبين أجمعين؟
وهل كان نبيه.. نبي المحبة والرحمة - صلوات الله عليه والسلام -
يصف الحب إلا "بالرزق"؟
أنى لبني الإنسان أن يسعد دون نور الحب الذي يضيء الدنيا،
ورحمته التي تهون مصاعب العيش وشقاء الأيام؟
أنتِ ربما لا تعرفين معنى أن تحبين رجلاً لأنه من روح الله..
إن فعل.. اجتهد أن يفعل ما يريده الله.
وإن تكلم.. أحسست بفيض من رحمات الخالق تحيط بك.
وإن حلم.. رسم دريماً يعانق السماء.
وإن عبد.. دعا الله سرّاً وعلانية أن يدخله الجنة برحيم صنعه
لهذه السيدة أو تلك الصبية.

لا يا عزيزتي.. لم يحرمها الله لأنها أحبت. كيف نحملها إحساساً
بالذنب يبقى في ذاكرتها، تلوم نفسها، وتجلد ذاتها كل حين عليه؟

في حضرة الألم

لم تجرم الصبية حين أحبت..
رزق الله..

إذ جمعها بوليف تأنس إليه ويسعد بها، ويتعبدا إليه بالمحبة التي هي سر
السماء.

يا الله..

يا خالق الحب والغرام..

أنت الخير كله.

فارزق من أحب ببعض منك يا الله.



"العشق مرض ليس فيه أجر ولا عوض"
الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -

Medad Book Store

زينب والحب

حين أسلمت زينب بنت النبي الكريم - صلوات ربي عليه والسلام- كان زوجها أبو العاص بن الربيع ما زال على دين الكفر، لا يوحد ولا يؤمن بوجود الله - عز وجل -.

لكنها بقيت على حبه تدعو له وتستغفر وترجو صلاحه كل لحظة. أحبته؛ لأن الله هو من ثبت قلبها على حب هذا الرجل "الكافر"، وما زالت تعبد الله، وما زال قلبها ينبض بحبه، حتى أذن الله له بالهداية، واجتمع شملهما.

بعد "اثنى عشرة عامًا!! .. اثنتا عشرة عامًا وهو على الكفر.. وهي على الحب! لا يفرقهما دين ولا حياة ولا هجرة ولا أي شيء. لم يقل لها النبي أن تنتهي عن حبه لأن الله يغار! ولم يأمرها أن تقلع عن حبه لأنه كافر والله يغار! تركها أبوها تتقرب إلى الله، وتسأله الخير لقلبها فما كان إلا أن جمع بينهما في نوره ودينه وحبه الفياض. تمام عقيدة المسلمين أن الله أكبر في النفوس من كل شيء، وأن حب الله نبت كل خير، وأن المنجاة والسلامة في التعلق بالله عز وجل، لكنها لا تفسد إن تحاب اثنان وتمنيا سويًا الصلاح، واتخذا الرباط بين قلوبهما قربى إلى الله مالك الروح والنفس.

كفوا عن الشروح العقيمة ولا تتشددوا بما لا تعوون.

حين تقع نوائب الدهر.. استرجعوا الله وكفى!



"من يسكن الروح... كيف القلب ينسأه؟"
المتنبي

Medad Book-Store

حديث أم سلمة

أكثر كلمة تتردد فيما بعد الفاجعة هي:

"الخلف"

كل الناس يحكون لك عنه.. العوض الجميل.

وكل صاحباتك يعدنك بالخلف الصالح، كلهم، كلهم إن دعوا لك

دعوا بهذه الدعوة: "أن تجدي بديلاً لما فقدته".

كنت كلما حكيت لأحد عن "عُمَر" - أكرمه الله - أفضي ببديب

نفسي التي ثقل عليها احتمال الألم؛ استرجع، وأغدق عليّ محبة جارفة
وعاطفة جياشة وكرر الدعوة ذاتها!

ويبدأ دور الراوي يقص حكاية أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله

عنها - حين مات عنها زوجها فوصّاها النبي - صلوات ربي عليه وسلامه -

بالدعاء: "اللهم أجرني في مصيبي وأخلفني خيراً منها".

فكانت دعواه حق، وتزوجها خير خلق الله كلهم محمد بن عبد الله

نبي الأمة - ﷺ - .

ومن أجاد أتبعها بقصة الصحابية الجليلة "عاتكة بنت زيد" التي

رحل عنها كل أزواجها في غزوات الفتوحات الإسلامية حتى قيل عنها: "من

أراد الشهادة، فليتزوج عاتكة".

وبالطبع لا ينسى إضافة لمسته الخاصة والحديث عن إمام المتقين

علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - حين تزوج بعد فاطمة حبيبة قلب

المصطفى ﷺ - وابنته بثلاث ليال فقط وقال: "أخشى أن ألقى الله عازبًا".

لا يُسيئني اللفظ فكل ما يأتي به الله عوض جميل، كما أن في الله عوض عن كل شيء، لكن يشتد غيظي حين أفهم المعنى المقصود.
حاولت أن أجد مرادفًا آخر لكلمة العوض في قاموس المعارف والأهل فلم أجد غير كلمة واحدة سحرية "العريس"!
وبحثت حثيثًا عن معنى الخلف الصالح وأيضًا لم يكن سوى "العريس".

ويحكم.. هل كل العوض.. رجل؟!
هل كل ما يخلف به الله على المرأة المكلومة هو زوج آخر؟ أو رحمة الله للصبية تقتصر على إيجاد بديل للمحبوب الراحل؟
هل نحثها على انتظاره أو تدبر أساليب الإيقاع به، أو حتى التشبث به ما أن يظهر في الأفق؟
مالنا قساة القلوب إلى هذا الحد؟!
لا ندعها تفرغ من هم الفراق.. بل نزيد عليها مشقة الإحلال والتبديل..

مالنا؟! على ماذا تُقايض الثكلى؟
على إثبات رأيها في تقبل فكرة الزواج والارتباط بغير من فقدت؟
أم على ثباتها وتماسكها وإصرارها أن ترمم صدوع نفسها الجريحة أولاً
مهما طال ذلك أو قصر به الوقت، تنتظر حتى يبرأ القلب ويتسع لمجيء حب آخر تُسعدده قبل أن تُسعد به؟

أي مقايضة ظالمة تلك التي لا نحسب لها حساباً؟ نصبح ونمسي
نردها على مسامعها؟ كأنه لا أمل للنجاة إن لم تجده!
وأنه الهلاك لا محالة إن بقيت أكثر على هذه الحالة، وكأنها لا
تساوي شيئاً وحدها، ولا تزن في مكايل الدنيا بمفردها، كأنما يتوجب عليها
المسارعة بالبحث عن البديل، أو إظهار براءة الروح والتمائل للشفاء لكي
تعجل بمجيئه؟
ولا يثير حزنهما العجب فينفض عنها طابور الرجال الذين يقفون
على الأبواب!

كانت المحبة المخلصة تأخذني على جنب وتسرلي:
كفى.. لا بد أن تنتهي لنفسك لكي لا تضيعين ما بقي..
كان أول ما يتبادر لذهني أن أسألها:
كيف بظنك نكتفي وننتبه؟ كيف نفرغ القلب مما فيه؟ كيف
نقتلع جذور عشق والجسد متعب والعقل منهك والفؤاد مسكين؟
ماذا أفعل...!
فكرت كثيراً في أسباب الزواج السائدة في مجتمعاتنا؛ فوجدت
الأزمة لا تقتصر على البنات اللواتي مررن بتجربة عصبية بعد غياب
الشريك.
بل تجدها حالة عامة من الفهم الخاطئ عن مفهوم الزواج
والمحبة وارتباط الأرواح.
العلاقات تنشأ رغبة في الزواج وحسب..

في حين أن العلاقة التي يرتجى فيها التوافق في الفكر والروح
والنفس هي حالة استثنائية، البحث عنها عبث، عبث يضعب العُمر ويفتح
ألسنة الناس!

ترى! كم من جميلة لم تمر بتجربة الفقد بتاتاً، وليس لديها مخزون حزين
من الذكريات؟ ولا ما زالت هواجس عودة الحبيب أو لقاؤه تراودها. ورغم
ذلك بقيت بدون زواج، وهي التي حازت مفاتن الدنيا والدلال؟
كم من زوجة تبحث عن عناق الروح لا عناق الأجساد؟ كم من
مخطوبة ترى أن خطيبها هو نصفها الصحيح لا جدال؟ وكم من متزوجة
ولم تنجب العيال؟

كل هذا يحدث في بلادنا العربية فعلام إذاً يثير ريبتنا أن تكون
الصبية قد ماتت شريكها ولم تنجب، أو رجل خاطبها دون زواج!
لربما لم يقسم في رزقها زواج؟ لربما ستزوج وليس الآن!
هل كل خلق الله من النسوة رزقن بالزواج، هل كلهن في أقدارهن
أن ينجبن من أرحامهن؟

ما حال النسوة اللواتي حرمن من هذه الأحداث الأثيرة للنفوس
التي تفيض رقة وعدوبة؟ ترى هل خلقهن الله لتتوقف حيواتهن ولا يكملن
المسير؟

هل أتى بهن لهذه الدنيا ليندبن حظوظهن ويبقين تعيسات ما قُدر
لهن في الأعمار؟
لا وربى!!

ما كان الكريم ليقبل بالجور والضيم، وما كان ربي نسيا.
خلقنا، وجعل لكل منا رسالته ليحيا بها ولأجلها.

وإن كانت أعظم رسالات المرأة هي إعداد البيت المسلم، وإنبات
الولدان الصالحين، وتنشئة الأسرة العفيفة الكريمة، وترسيخ المبادئ
الإسلامية والقيم النبيلة.. تبقى المرأة نبراسًا للحياة أينما حلت.
كان ذلك في بيتها الذي أسسته مع شريكها الرائع، أو وحدها في
كل مكان يمكنها أن تشع فيه القدرة والمهارة والخُلق والحنان كما جبلها
الله على الفطرة المعطاءة.

ما لنا إذًا وأقدار الناس؟ ما لنا والبينات؟
دعوا الصبايا على نفوسهن تطيب وتندمل الجراح، ويقلب الله
القلوب فيغدو حال أفضل مما صار.
الوقت لا ينقضي إلا حين يأذن الله، وأوان الزواج لا يرحل إلا
بمشيئة الله، وقطار العُمر ماضٍ في طريقه لا حول لنا عليه، ولا استبقاء!
إن قُدر لها زواج في الدنيا.. فستلاقيه ولو عزمت أن تبقى عذراء
أبد الحياة.
وإن قُدر لها ألا تتزوج.. فلن تفعل ولو خطبت وعقد قرانها آلاف
المرات.
سبحانه مقلب القلوب، هو وحده الذي يُرتجى رضاه.



" كيف تنال ضحكة قبول من بنت تخشى الوجع؟
كن صادقاً صابراً.. وكفى!
أمنية الشرنوبي

Medad Book-Store

الرجال

أما شأن الرجال في هذا الأمر عجب العجاب!
الرجال المحيطون بالصبايا حين يتوفى الله شريكها أمرهم جد غريب..

لا تنقض بضعة أسابيع، بل - والله - بضعة أيام إلا ويفاتحها بعرض زواج!

سأعيد تجربة استخدام حسن الظن في التفكير..
فكرت كثيرًا في أسبابه الطيبة هذا الطالب التي قدم على أساسها عرضه السخي بالزواج.

هل يرى أنه الفارس المغوار الذي ستهيم به عشقًا، وتبادله حبًا بحب، وكأن قلبها قد برئ بين عشية وضحاها؟ أو أنها بكبسة زر تغير هوى القلب نحوه في الحال؟

أنا هنا لا أنكر حقيقة أن تتزوج وتعشق من جديد قدر ما أستنكر أن يحدثها أحدهم في هذا الشأن وهي ما زالت تحت وقع الصدمة وما زالت لا تفيق من وهن الفراق.

لأنه لو تفكر بها هي لحظة واحدة لأشفق عليها ألف مرة قبل أن يزيد عذابها ويضعها في مواجهة صادمة ربما لا تفهمها.

أين الحكمة في هذا؟ قليل من الحنكة قسمًا يفيد..

أقل القليل من التروي يجدي نفعًا..

لا عيب في هذا الزواج اللهم إلا توقيته.

ولا أملك أن أحرم ما أحل الله، لكنني أثكم نجوى النفوس التي
عاصرت تجربة أليمة كتلك.

وكم من فاقدة حين تسمعها تحكي عن أمر كهذا تذهل من تلك
العروض السخيفة والمتعجلة الحمقاء التي قدمت إليها بكل الطرق التي لا
تتناسب مع وضعها ولا مشاعرها المنهكة.

لا أدري أهو التسرع أم الغباء؟

حيناً فكرت أنه لربما كان يعشقها وقد حال بينهما القدر زماناً،
وأنه أوان الاعتراف بمكنون قلبه خشية أن يخسرهما مرتين.

حسن.. طيب هذا الظن، لكن يا صديقي لو صدقتك القول هل
تسمع نصحي؟

يا أيها السيد الكريم..

الصبية في هذا الحين لا ترى ولا تسمع، ولا يُعيد عقلها إلا
مدخلات تتعلق بالشريك الراحل.

تسمع صوته، ترى ما يحبه كما لو أنها عينه، تحسب أنها تستطيع
إبقاءه على قيد الحياة إن فعلت ما كان هو يحب فعله.

أكلت طعامه المفضل، أو سمعت موسيقاه الخاصة، وقرأت كتبه
المختارة، أو حتى نطقت باسمه.

حين تتذكر لا تتذكر إلا ما كان يجمعهما، وحين تنسى لا تنسى
حادثاً كان معه أبداً. لا يحركها سوى احتمال قسري لواقع مخيف غيب
رفيقها فجأة، وحين قاتل لا يسمح لها براحة القلب والعقل.

بالله عليك خبرني.. كيف ترى هذه الإشارات الظاهرة وتقدم طلباً

بالزواج؟

أي زواج تقصد؟

في حضرة الألم

هل هو عقد موقع من ولها ومنك وقائمة أثاث وبيت تنامان فيه
على ذات السرير؟

ألا تصبو إلى شراكة أبدية بين روحين محبين، وأحلام سرمدية إلى
جنة عرضها السموات والأرض؟

أتعلم سيدي..

حين يأذن الله بشفائها، ويخفت صوت الأنين بداخلها، ستفكر
فيمن قد تمنحه فرصة للمحاولة والتودد إليها لربما يفتح الله بينهما فتحًا
مبينًا.

حينها لا تفكر أبدًا أبدًا فيمن قدم لها عرضًا مباشرًا وواضحًا
للزواج في فترة ما بعد الصدمة.

يرفض عقلها - بدون تبرير - هذا الخاطب.

قلها يغلق تمامًا في وجه هذا - عفوًا - الوقح الذي تجرأ وانتهك
حرمة أحزانها، ولم يراع الزمن ولا التوقيت المناسبين.

كيف لها أن تأمنه على مشاعرها الرقيقة بعد حين إن كان أحمقًا
عجولاً إلى هذا القدر!!

إن كنت تكترث لها.. كن جوارها على مقربة منها، راعها على البعد
وتقفى أخبارها، واحرص على معرفة أسباب صفوها ورضائها.

ستعرف في عقلها اللاواعي أن هناك من يمكنها أن تلجأ إليه حين
تفنيق وتقرر مواصلة الدرب مع من يتفهم ما مرت به فيرحم ضعفها،
ويحترم ذكرياتها المتعبة.

تمهل سيدي المحب..

تمهل أيها الخاطب ودها، إن كنت ترجوها زوجتك وحببتك

ورفيقة غرامك الصادق..

احتمل حتى ينضب وجعها المتدفق..

وإن عشقتها..

فالعاشق أولى بالرحمة من سواه!!



Medad Book

" استوصوا بالنساء خيرًا "

النبى محمد ﷺ

Medad Book-Store

الرجال ٢

إلى كل رجل في دائرة رعايته امرأة أصابها الفقد، وانتزع منها
سويداء القلب انتزاعاً لا تملك معه إلا التسليم بالقضاء.

أرجوك سيدي تذكر.. أنهن قوارير!
أنت لا تدري ما كُنَّه هذا الشيء الذي يعتلج بصدرها، ولا تقدر
حتى لو اجتهدت.

لن تفهم أبداً حجمه وتغلغله وانتشاره وسيطرته على كل
جوارحها ونفسها الضعيفة المهيضة الجناح أمام قدر لا يزول.

إحساسها بالضعف يقوى بالأيام كلما تأكدت أنه لا عودة.. ولا
رجوع، فوالله لا شيء يكسر النفس كالفراق، ولا شيء يطببه كحب
المشتاق.

وصاك بها المصطفى - ﷺ - فارحم!!

فهي كما اليتيم .. لا تقهر..

وكما السائل .. لا تمهر...

وكما الزائر .. لا تضجر....

وكما الحليم.. لِنْ وَهَشْ وَبَشْ فِي وَجْهَهَا

كلما لقيتها.. ضمها.

في حضرة الألم

فلا تدري أي ترميم قد تفعله ضمة منك لا تُلقي أنت لها بالا في
أحد أقوى صدوع نفسها الغائرة.
كلما استطعت.. هادها، بأبسط أشياء تحبها؛ لتشعرها بالسكينة،
وتخف مرارة غياب فقيدها.

وان قابلتها صدفة في حجرات البيت.. لا تدرو وجهك عنها، لا تدري
حينها كم يشعر قلبها بالوحدة وصخب الفراق.
بل لا تلقها صدفة ..
اطرق باب غرفتها وإن أرادت العزلة..

خبرها أنك جئت لترى ضحكتها التي غابت، لربما تعود الضحكة
رغم اعتيادها البكاء حتى باتت عضلات وجهها تعجب كيف تكون علامات
الفرح والارتياح!

لا تهجر طعامًا تأكل منه معك؛ لأنها أصبحت تصيبك بالنكد، هي
بالفعل أسيرة للكدر.. لا تتصنع البكاء ولا تدعي الوهن.
ما مضى.. قد مضى، وهي أيضًا بعضٌ منها رحل!!
نفسها لا تعرف كيف تلم شمالا انفرط عقده بالموت..
معزلتها النفسية والفكرية عسيرة.. لو تعلم! تبحث كما الملهوف،
لا تلق شيئًا..

الحزن لا يقل، والأثر لا يزول، فلا تعجب كيف تبقى حزينة وقد
صار ما صار منذ زمان!
لا تزجرها ولا تنهرها..

في حضرة الألم

لا تتركها تشعر أنها بلا سند.. فأحمال الألم على كتفها أضعاف عُمرِكَ لو
عُمِّرَتْ ألف عام وعام!

الله لا يرضى لحرقة قلوب النساء.. خُلِقن رقيقات يلجأن للسكن
واللين، يحببن بكل ما تسع القلوب.

حينما يأتين الثكل.. تدعو الملائكة مشفقة عليهن، وتنزل على أفئدتهم
الرحمات بأمر رب السماء.

والله لو علمت ما تجويه صدورهن من وَهْنٍ لتهدمت السموات والأرض،
لكنها رحمة الله تبقمها بما شاء ..



Medad Box

الفصل الثالث
(تربية النفوس)

Medad Book-Store

"خلق الله فيك الإرادة لا لتكون لك، ولكن لتدحض إرادته
إرادتك، فتعلم أنه ليس لك إرادة"
من الحكم العطائية.

سنة أولى فقد

منذ عدة أعوام وقع حادث جلل لأمي، كاد أن يودي بحياتها لولا لطف الله وكرمه.

دخلت أُمِّي في غيبوبة منها لا تفيق.

حينها أنا وإخوتي دعونا الله كثيرًا حتى استجاب الله وأتم شفاءها بعد أوقات عصيبة.

أذكر جيدًا مشاعري حينها كانت غضة جدًا، طفولية جدًا.

أذكر أنني غضبت من ربي، وبكيت كثيرًا وسألته مرارًا: لمَ يا الله؟

أليست هذه المرأة طيبة؟ أليست سالحة؟

يارب إنني أحبها لمَ تريدني أن أبكي؟ هل أنت لا تحبني يا الله!

كنت متعجبة كثيرًا كيف يختار الموت أو الوجود ضحاياه، وحزنت

جدًا منه، لا أدري من الوجود؟ أم من الله ربي؟

كيف يرضى الله أن يسلبني أُمِّي وهي أجمل ما أحبه في الدنيا؟

حينها كنت أدعو الله وأنا موقنة أنه لن يخذلني؛ لأنني بتفكيري

الطفولي العاجز كنت أحسب أن الله سيستجيب، ليس لأجل رحمته

الواسعة، بل لأنه حزن لما وجد أن قضاءه يحزنني.

وعفوا مني كنت ألومه وأعاتبه عتاب صاحب الحق.

– وهو أمر باطل كله –

لكني كنت لا أفهم هذا في سنِّي الصغيرة تلك، وكنت أجتهد

بالدعاء حتى أنني ذات نهار علمت - وكأنه اليقين - أن أُمِّي ستفيق اليوم،

وستكون بخير وكأن الله - حاشاه جل وعلا وأستغفره على هذا استغفارًا عظيمًا - كان يصلحني ويرضييني عما أزعجني به.

ولما رفعت رأسي من السجود ودخلت على أمي لأراها كانت تفتح عينها لأول مرة منذ وقوع الحادث!

بكيت حينها فرحًا كما المتدلل الذي لا يُرد طلبه ولا يقو من كان على رفض أمنياته.

تعافت أمي بفضل الله - وحده - وكرمه وشفائه الذي أنزله على قلبها العطوف.

بعد عودة أمي إلى المنزل، كنت في أغرب حال، والآن.. حين أذكره أحمد الله حمدًا كثيرًا أنه لم يقبضني على حالي هذا.

كنت حين تقام الصلاة.. يستلمني الخصم اللعين الشيطان الرجيم ويوسوس في نفسي؛ فأجدني أسأل وأفكر:

لِمَ أصلي لله الذي لا يحبني، وكاد أن يسلبني أمي الجميلة؟

لم أعبده وأقدم له فروض الولاء والطاعة وهو لا يبالي لحزني ولا هم قلبي؟

لولا بقية من غرس أمي الصالحة - باركها الله - في النفس منذ الصغر، كانت تأمرني أن أمتثل لنداء الصلاة رغم هواجسي؛ فأقيمها وعقلي على ما هو عليه من استفهام!!

وأصوم - كان الحادث في شهر رمضان - فقط لأنتظر لحظة الإفطار فادعولها بتمام الشفاء وعودة الذاكرة.

وهو أيضًا ما شكل داخلي عجبًا أشد!

كيف أغضب من الله وما زلت أرتجي فضله؟ أو أسأله عطيته؟

كيف أعلن في نفسي الرفض وما زلت أثق في كرمه؟

في حضرة الألم

كانت معضلي حينها معضلة لم ينجني منها إلا واسع فضله على عباده الحمقى مثلي.

نجاتي الوحيدة كانت في التلمي عن الأفكار، والامتثال لما تحدثني به تعاليم أمي الناطقة داخلي منذ الصغر..

فكنت أصلي.. دون روح

وأصوم.. طلبًا لمَكْرُمة

وأدعو.. انتظارًا للرد

كنت أعبد الله بالمقايضة!!

وما أذمّها وأفحشها عبادة..!

والله إنني لولا ضرورة هذا الكلام في وصف حالة التبدل من المجادلة إلا الاستسلام.. ماجئت على ذكر هذه الأيام، وهي المرة الأولى لي التي أكتب عنها.

مضت تلك السنة، وكل نهار تشرق أمي أكثر، ويفرح قلبي أكثر. نسيت أفكاري تلك - أو تناسيتها -؛ لأن خوفًا خفيًا كان يراودني أن أخرج عن جادة الحق.

وانغمست في دراستي وامتحاناتي وشؤوني الخاصة، لكنني أذكر جيدًا أن ما علق بالنفس لم يبرأ بعد، وأني لم أحسم الأمر في ذاتي، ولا بد لي من عودة لأضع كل أمر في نصابه.

في فجيعتي في "عَمْر"-رحمه الله - حمدت الله كثيرًا حمدًا كنت أحسبني لن أبلغه.

وكم خشيت أن أموت قبل أن تزول عوالم وشوائب نفسي السابقة تلك، حينها .. أدعي أن الله نظري بعين اللطف، وخشي علي أن

يتركني لِنفسي وعقلي فابتلاني - ربما - بفقد جديد ومرار شديد، يبقى أثره طوال الدهر كي لا أنسى وأعود لمثل هذه الضلالات، فله الفضل والمنة وجزيل الثناء والشكر.

لما هاجر "عَمْرٌ" - رحمه الله - ..لم أصدق أنه فعل بي وبقلبي المتيم هذا، وعندها لجأت فرارًا من فعلة "عَمْرٌ" الصببانية إلى ربي الذي هو أرحم وأكثر لطفًا ومودة بي من "عَمْرٌ" الطيب العاشق، وحتى من نفسي!
بقيت عنده أحدثه وأناجيه وأفرغ مكنونات صدري..

كنت أكتب رغم أنه يسمعي دون كلام، ويعلم ما لا يبوح به القلم، حينها لم أفكر في غضبي من الله، كيف يفعل بي هذا ويأخذ شريكي؟ بل ساورتني أحاسيس بالترقية والتهديب والتربية، هي -صدقًا- على أشد أنواع التربية وأقساها.

لكنني كنت راضية، كنت حين يهزمني الألم أبكي وأئنُّ أنين الذبيح الذي لا أمل لإنقاذه، ومع ذلك كان الله ينقذني؛ فاستشعرت ودَّ ربي بي!
وما أروعه من ود!

كنت أراني خارج جسدي، وأقسم أن جسمي سيموت، وعقلي لن يحتمل، ولا بد أن يجن، وأراهن أنه سيحدث الليلة أو باكر في الصباح وهذا حالي كل يوم.

ومع ذلك لم أمت، ولم أُجَنِّ، ولم يتركني الله لا ليلة ولا صباحًا باكرًا، كان جوارِي دومًا كنت أحس - فعليًا - به يطبني كالساهر على المريض.. الله أجل وأعظم من كل وصف - له المثل الأعلى -.

الندوب التي أدعي أنني رأيتها بعيني في نسيج قلبي المهترئ وقتها كنت أشعر بيد الجبار ترفق وتربت عليه؛ فيوقف النزف لا أرى أثر الدماء، وإن كان ما زال الألم يصل إلى مناطق الاستشعار في الدماغ.

في حضرة الألم

كنت لا أكل، وأتخيل أن الطعام لو دخل جوفي سيعلق في منتصف الطريق، كيف يعبر؟ لا سبيل!
لكنهم كانوا يطعموني، وكان الطعام يجد السبيل، وكان الله يترفق بي ترفق الراعي بغنمه لا يتركهم دون كالأ أو ماء.
راهنت نفسي على الهلاك، دون فعل آتية، أو جرم أرتكبه بحق نفسي، الحمد لله.
لكن روعي خبرتي - كما أذكر - أننا تحدثنا في وقت صفو تخلله بكاء كثير..

قالت لي: لا أطيق بعده عيشًا..
أتى لي أن أتحمل كل هذا المقدار من الألم؟
أخشى أنني سأخذلك وألحق به عما قريب!
فرددت سريعًا: لا عليك، افعلي.. بل عجلي بفعلتك أنا لا أبالي!
لا أذكر ماذا حدث بعدها، ولا أي قرار اتخذت وتم تنفيذه، لكنني..
ما زلت على قيد الحياة!!
ففهمت أن عين الله التي لا تنام كانت تحرسني، وأنا لجهلي وتقصيري لم أكن أعلم.
الآن وحسب.. أدرك الفرق بين عبادة الله محبة وامتنانًا، وبين عبادته مقايضة وندية.
لولم يكن لي من جزاء أو مكرومة نلتها بمحنتي تلك إلا هذا لكفت - وربِّ "عَمَر" -.

حين تقع المصيبة.. والله لا عقل ولا قلب ولا جوارح يفيد.
لا تقدر أن تفسر أي شيء، ولا حتى أبسط شيء.

صدقًا..

حين تعلم أنك لاشيء! أنك محض جرم صغير تائه ضال يتخبط
الخطى إلا بعون الله في الكون، حين توقن أنك لا تملك لنفسك أي شيء،
وأنت ريشة هائمة في الفضاء لا تدري ما طريقك، ولا أي درب تقطع إلا
بفضل الله، حين ينقطع حولك كله، وتخور قواك كلها، العقلية والنفسية
والبدنية وحتى التخيلية..

حين يغتالك الوجع، ويفرغك الحزن مرات، وتبعثرك الشجون
بحثًا عن بعض أيام رحلت، وبقايا أحلام..

عند هذه النقطة بالتحديد.. نقطة اللاوجود واللاعدم؛ تفتى أنت،
ويفتى عالمك بكل مكوناته، بكل أفكارك وشخصك وظنونك وتعاريفك
ومفاهيمك الجوفاء، ينهزم معنى القوة عندك تمامًا، يفرغ من معناه ويبقى
معنى القوة الأوحده ومصدرها الدائم على الإطلاق.. (الله).

حينها يبدأ ملؤك من جديد بمفهوم جديد، وتعريف لم يسبق لك
يومًا أن عايشته.. معنى القوة بالله!

كل ما كان قبله.. مجرد لصق كلمات، وكل ما عداه هراء!

القوة الحقيقية لروحك هي أن تعلم أنك لاشيء! وأنت لا حول ولا
قوة لك إلا بالله العلي القادر، وأنه في أيام عُمرنا القليلة لن يُقَدِرَ علينا
أَيُّ شيء!! الله وحده يُقَدِرُ..

اللهُ حينها يُلقِي على العقل الثبات - أظنه ربما يجمده - كي لا
يهلك فلا تفاسير ولا دلائل تستطيع حينها مساعدتك.

حينها تستسلم كما لم تظن أنك - بنفسك هذه الذكية الأبية الماهرة
الحاذقة الطيبة الصالحة الواعدة المفكرة الـ... "كل ما تحب وصف نفسك
به أضفه" - تعلم يقينًا أنك.. لاشيء!

في حضرة الألم

لا ذكاء، لا مهارة، لا أفكار، لا صلاح، لا حول، لا قوة، لا طاقة.. لا شيء حرفياً.

لو تملك من الأمر شيئاً لمنعته، أو قُلْ لغيرته، أو قل لناقشت صاحبه فيه ورفضته، وهذا أضعف الإيمان.

لكن.. هل تملك أن تفعل مثل هذا؟

هل يمكنك حتى مجرد الظن أنك تقدر؟

لا تراوغ..

أنت تعرف في حقيقة نفسك .. أنك لا شيء.

أن الأمر كله لخالقك.. أنت نفسك لخالقك يصنع بك ما يشاء.

الأمر كله بما في الأرض والسموات والبحار والجبال والنفوس وكل

شيء.. كل شيء .. هو لله سبحانه ذي القوة والحول والرحمة!!



"أليس الله بكافٍ عبده "

سورة الزمراية ٣٦

Medad Book-Store

اختيار الله

للمقولة التي تقول:

"لو خُير الإنسان أن يختار في حياته، ما اختار إلا ما كان قد قدره له الله". لها جلال لا يقع في النفس إلا بعد حين".
في أول الصدمة لا تصدق أن الله يرتضي عذابك وأملك كل هذا،
وتسأله كثيراً، كما فعلتُ أنا، ليس اعتراضاً بقدر ما هو ذهولٌ عقليّ ظن
أن يستنتج ويحسب فلا يقع إلا ما يصل إليه بمعطيات محدودة جداً، هي
ممنوحة للإنسان من ربه.

في هذه المحن لا يكن للعقل أي حسابات؛ لأنها تجري خارج
معطياته، ومقدراته وحساباته، فيكثر السؤال وعلامات التعجب!
فيما كان قضاؤه وعدم إجابته للدعاء لبلوغ غايتك ومنالِك، وهو
أمر لا حرج فيه.

هون على نفسك، يصدر أول الحال على كل حال، حتى تهذب
نفسك وتقومها وتعلمها الصبر فتريك منك عجباً في وصف لطيف تدايير
الله حين تسلم وتسكن فيما بعد.

وزعي أن مثل تلك المصائب إنما هي أسباب يكشف بها رب
الكون بعض الحجب لبعض عبادته ليؤهلهم ويصنعهم فيستخدمهم فيما
هو به أدرى وأعلم.

أفلا نصبر على عُسر جزاؤه اختصاص مالك الكون؟!

الله في حكمه شؤون لا نعلمها ولا نطلع عليها، وأجزم أننا لو اطلعنا ما فهمنا أيًا خير وأيًا هلاك، ينجينا منه الله ..

ولقلة علمنا وحدود عقلنا وجزع نفوسنا.. نفعل أفاعيل الغاضبين، ونلوم الله ونستعجبه: فيما قوله: إني أجيب الدعاء".

والله إني كنت أدعوه ليلا ونهارًا، وعشية وضحي، وأثناء الليالي، وأطراف النهار، وأتربق أوقات السحر، وإجابة الدعاء. كيف "الله يستحي من رد يد عبده"؟ وقد ردني، وأنا أمتُّه، وكسر قلبي واسترجع رفيقي؟

نتجرأ على ذات الله جل وعلا خفية في نفوسنا، وإن لجمنا ألسنتنا ظاهرًا.

فيمرض العقل والروح بها ما بها من مصاب فلا يقدر أحدهما على معاونة الآخر في التشافي، فننسى أن الكسر لا جابر له إلا الله، وأن الدعاء يجاب بمختلف السبل، وحسب الأزمنة ومقادير الخير التي يقررها الله، وأنه إن لم يجبك كما رسمت أنت، إنما هو يرسم لك أجمل مما أردت، أو يؤجله فيثيبك على الرضا والثقة في حكم القدر والقضاء. فأر الله من نفسك خيرًا .. يكن كل الخير إن شاء الله.

أعلم أنه الحنَّانُ الذي هو أرحم بالوليد من أمه، فمَمَّ نخاف؟ وكيف نضعف ولنا ظهير ونصير للمستضعفين والمكلمين.

اسمه الجبار القوي!



"رُبَّ معصية أورثت ذلاً وانكساراً خيراً من طاعة أورثت عزاً
واستكباراً"
إحدى الحكم العطائية.

Medad Book-Store

استئناس المعاناة

كنت حين أسمع تاريخ السلف الصالح يحكون عن لذة المعاناة
أستنكر قولهم بشدة!

كانوا إن مضى على أحدهم أسابيع لم تصبه مصيبة يبكي بكاءً
شديداً ويقول: رب فيمَ أغضبتك فندستني؟ فيم عصيتك فكرهتني؟
أعجب!

لمَ قد يسعد إنسان بالمعاناة؟
وأي نفس سوية تفعل وتقبل؟
بعد ما كان من أمري فهمت ما يقصدون..
ربما يقصدون لذة الاستسلام التي تكمن داخل المعاناة..
لذة الخضوع وقلة الحيلة وانقطاع الرجاء..
الانكسار الذي يولد الخشية والخشوع وإنكار الذات في حضرة الله
عز وجل، الإنكسار بين يديه سائلاً إياه دوماً المدد والعون..
لذة النجاة بلطفه لا بمهارتك وأنت الضعيف، لذة الفرحة
بالابتلاء؛ لأنها تعني عناية الله الواضحة، ورعايته لك وأنت العبد الفقير.
أكثر ما كان يشغلني حين أصل لهذه المعاني في نفسي وأجد من
أثرها راحة بعد البكاء والنحيب، وظلال ابتسامة ترتسم على وجهي المغطى
بماء الدمع؛ أنني كنت أتمنى لو أُحَدِّث "عَمَّر"- رحمه الله - وأحاكيه عمَّ
يجول بصدري وأناقشه!

في حضرة الألم

كان ليسعد بمثل هذه النقاشات المثيرة حقًا، ويُستثار عقله،
ويقدح زناد فكره ليخرج استنتاجات ملهمة يصوغها في عبارات محفزة
وأسرة.

فالحمد لله على ما جاد به..

والحمد الأكبر على ما منع ودبر.



Medad Book-store

مداخل الشيطان

أدري أنه من العجيب أن أحدثك عن مثل هذا الشأن في موضعنا هذا، فأنت ربما تعجبين من أن أخبرك عن دور الشيطان الرجيم في هذه المحنة المليئة بالهدوء وانهمزام النفس الأمانة بالسوء في مواجهة النفس المطمئنة الراضية. وقت تكون النفس راغبة عن كل شيء ، زاهدة في أي شهوة ورغبة، أو فكرة حتى غير صالحة.

لكن دعيني أخبرك وأصدقك أن الشيطان لا يأخذ من عمله إجازة مهما جدت أمور أو ظهرت ظواهر جسيمة وأليمة، بل هو الأفضل وقت السلم أكثر أوقات نشاطه هذا اللعين هو يرتع في كل وقت وحين ربما يمكث قليلا يخطط كيف يباغت بطريقة ربما لم تعرفها من قبل.

في وقت الحزن.. يجذبك فريسة سهلة جدًا، صحيح أن مقاومتك له بوضوح كبيرة فأنت تزهدين الدنيا والناس وكل رغبات الحياة؛ لذا هو لا يواجهك، إنما يتسلل إليك كأن يبيء إليك أن كل من يلين معك أو يحدثك بلطف ربما يحمل في نفسه شيئاً منك، ويوحى إليك بذلك؛ لأنك تفتقدين إحساس الاعتناء والاهتمام من شخص يحبك.

فاحذري أن تقعي لهذه الأفكار التي يبذرهما الشيطان من أول يوم ويرعاها بالصبر حتى تفاجئين بنفسك وأنت ربما تعانين صدمة أخرى.

في حضرة الألم

طريقة أخرى مأكرة منه في هذا الوقت.. هو أن يشغلك عن التعلق
بالله إذ إنك حينها لا تحبين أحداً، أكثر من الله؛ لأنك تعلمين يقيناً أنه
منجاتك الوحيدة.

وهو ما يزعج عدوك اللعين؛ فيتحين الفرص ليشتغل عن كل ما
تقربتي به إلى الله من تلاوة قرآن أو صلاة أو قيام أو غيرها من أفعال
تعبدية لله.

وبعد حين تجدين نفسك بها جفوة المفارق كأنك تركتي وفارقتي
المكان أو الإحساس الذي كنت تألفين البكاء والمكوث به دون وجل أو
خوف أو إحساس الضياع.

فاحذري منه - لعنه الله -؛ لأنه لا يُسلم بالهزيمة أبداً.

وأنت في وقتك هذا أجدر من يهزمه ويعيد للنفس صوابها ورشدها
بفضل الله.



الفصل الرابع
(الثكالي والغرام)

Medad Book-Store

" الصبر مطية لا تكبو "
الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -

Medad Book-Store

كيف تفعل الثكلي؟

الحرّة.. حرّةٌ أن تبوح، وأن تصمت، وأن تقرر الخطبة أو عدم الزواج.

الحرّة.. حرّةٌ حين ترثي، وحين تننّ، وحين تدعو وتبكي، وتبتهل إلى الله.

هي حرّة حين تقرر مواصلة السير، وتكفكف الدمع، وتخطط من جديد للحياة.

الحرّة.. حرّةٌ حين تعشيق، وتختار حبيبًا للدرب الطويل.
حياتها هي..

وربّ محمد!!

لا تسألوا لها الخلف في الرجل فقط..

اسألوا الله لها عوضه كما يرى ويعلم هو، لا كما نريد نحن..

اطلبوا لها الرفقة، والونس، وزوال الوحشة.

قد تكون بمعية الله، وهي خير الأشياء، وقد يرزقها برفيق تأنس له

وتطيب معه الآهات والأوجاع.

وهو أمر خير إن كتبه الله.

لا تولوا أنفسكم مقاليد الحكم والرزق..

فالقدر لا يدع حيًا على حال !



" إن لم يكن بالقلب حزن .. خرب "
مالك بن دينار

Medad Book-Store

تعجل الشفاء

يا صغيرتي لا تبالي لأي أحد ولا لأي شيء..
لا تكتفي حباً أظهره الله عليك ولا تخفي سرّاً أودعه الله في نفسك
إن ظننت أنّ تظاهرك أنك تجاوزت الأزيمة لكي لا تقلبي فرص الزواج
القادمة.

أو هو ظن عابث منك أنك إن وجدت رفيقاً آخر يبرأ القلب ويتم
الشفاء.
سأصدقك القول..

لن تسعدي، بل ربما بذلك أن تجرين نفسك إلى أسر لا فكاك
منه، بعدما كنتِ أسيرة أحزانك الداخلية جلبت لنفسك قيوداً خارجية
لن تستطيعي معها التعايش.

أعانك الله حينها على أسرك الداخلي والخارجي، فلا أدري ما
أخبرك به سوى أن تحبي نفسك.. اهتني لجراحها وضمدها، وارفقي بها،
أنت أولى الناس بالرفق.

لا تخافي..

الحب رزق، والزواج رزق.

جاءك مرة وأصبتِ بنصيبك من الثكل بعده..

كان جميلاً حدّ السماء، وبات مُوجِعاً حدودَ الألم..

قد يأتيك مرات بعده، وقد لا يفعل.

فلا تتعجلي الشفاء مخافة ضياع العُمر على قائمة الانتظار،
فكري ماذا لو تظاهرت بذلك، وقسم النصيب مع آخر، وباتت روحك
معذبة مشتتة بين ماضٍ رحل بكل أفراحه، وبين واقع - كان ليبدو جميلاً
لو تمهلّت وصبرت - صار كعذاب، أو مدة عقوبة تقضيها لكي تلحقي أن
تركبي قطار الحياة.

أي حياة تسارينها تلك؟ هل هو الزواج؟

هل الغاية والمقصد هو عقد القرآن؟

أم السكن والإلف والتحليق في غيابات الصبابة والغرام هو ما

كنت تبحثين عنه!

وأحسبك بهذا.. ضللت الطريق؟

في كل عَجَلَةٍ ندامة.. كانت تخبرني أمي!

وفي كل تروٍ يسر وسلامة.. كما عملتني محنتي!

لا تثقلي على قلبك، وهادني أوجاعك حتى ترحل أو تبقي، ولكنها

تعلن الهدنة، وتسمح لك ببصيص من راحة، وحب جديد.



" الحب هو الإيمان .. هو الإيمان فلا تكفر به "
قول مأثور

Medad Book-Store

فقه القلوب

الحب يا صغيرتي وهج!

نورٌ يخرج منك إليك، يخرج منك ليضيء حياتك وروحك وحياة
من تحبين ومن يحيطون بك.

الحب النقي الدافق المعطاء لا هلاك فيه ولا حدود، إلا حدود

الله!!

القلب ليس عليه ما على الجوارح، وله ما لا يكون لسواه .. فهوني

لمهن تأنيب الذات وجلدها.

لا ضمير، لا بأس، ولا ضلال، أن تُبقي ما في داخلك من حب

انقطعت أسباب الوصل المرئي والمادي المحسوس فيه.

اعلمي أن أساس الوصل هو النجوى وبوح النفس دون أحرف أو

كلمات، دعيه ساكنًا ما أبقاه الله.. ما ثبته الله، ولم يزحزح هواك عنه.

لا تتجلدي في نزعه؛ فيكون عزمك عليك لا لك، يشتد ثباته كلما

قسوت على ذاتك وأنبهتها بعدم جدوى غرامك للفقيد.

وأنه لا شيء يرتجى من هذا الحب المقيم إن كان صاحب الحب

ذاته غير مقيم!

وهل الحب لأبد فيه من عوض؟

أليس ما يغنيكي عنك، ويسمو بروحك، ويهذب طبعك، ويرققه

بالشوق، ويعيدك بالشجن إلى محرابك بكاف؟!

تحدثي ربك عنه الذي هو ساكن في قرار مكين منك فتفرحي
بعلاقة الصلة بينك وبين ربك..

أليس هذا بملهم؟

الحب طاقة تخرج منك إلى الدنيا لتضيئها؛ لتجسدي العطاء،
فرب معطاء محروم خير من مكتفٍ منعم، أو ممسك قنوع!

أنت لا نقص فيك، اعلمي ذلك وتذكره دومًا!

فجّل الحب من وجدانك.. وشريكك إنما هو مرأتك لتري أجمل ما
فيك بارزًا فتقديرين على حب الدنيا والناس.

أحبي الدنيا والناس، لا تفارقي الغرام، وخبري عقلك أن منتهى
الحرية في الحب..

هو الحب الذي لا تمنحينه مقابل حب تستقبلينه.

ما الضير أن تحبي فقيدك؟ وقد انقطع عنه كل ما يملك أن
يبادلك به، أن تداومي على رعايته على البعد، ولا تنقطعي عن ذكره لقلّة
النظر وانعدام اللقاء.

الحب..

يبقى فيك حيًا ما دمت لم تبارحه، وما دمت أنت حيًا.

هو فيض من جمال، وبريق نفسك قابلَ بريقَ روح تكمله؛ فتألفا
وتعانقا، فهل إن رحلت إحداهما؛ انطفأ البريق؟ أو ذهب الجمال؟

لا وربِّ "عُمَر" لا.. بل الذهب يلتمع بالنار..

والجواهر تصقل بشديد الحرارة، وأشدّ ظروف التجلية والتنقية.

كنت أعجب حين أقرأ عن سيرة مجنون ليلى كيف أنه لما تشاور

أهله في أمره وشاروا كيف يزعون عنه هوى ليلى وقد ماتت؟!!

في حضرة الألم

أرسلوه إلى كعبة الله المكرمة؛ ليبراً من مرض قلبه، ويعود فتياً
يغازل النساء ويلهو كما يلهو شباب قبيلته.

لما تعلق بأستار الكعبة بكى ودعى وابتهل إلى الله قائلاً: اللهم لا
تقبضني دون حب ليلي، اللهم وإن كان فيه هلاكي. ومات وهو على حاله
تلك.

كنت أعجب أشد العجب، وبمراهقة الصبايا كنت أحسد ليلي أنها
حظيت بمثل هذا الحب! ولم أكن أدرك مدى معاناة المحب وكلفة العشق
ومغرم المغرّمين.

فللحب كلفة غالية لا يؤديها إلا صادق، ولا يتحملها إلا مخلص
وفيّ، ومعاناته لا يبرأ منها القلب الحني التابض.

اللهم قوة!



لو كان لي قلبان لعشت بواحد ..
وتركتُ قلبًا في هواك يُعذبُ
" قيس بن الملوّح "

" أخذت الحب وتركت الأسى "
أمنية الشرنوبى

أنا.. وقيس

لما رُزقت بحب "عُمر"، وهذبني ربي واسترده عنده في سماواته - له في ملكوته ما يشاء، بهت، وتذكرت قول قيس المجنون، أُوَيْعقل أنني مثله قد جننت؟

ومن أين لي أن أودي كلفة هذا الحب المتعمق في ثنايا الروح؟ من أين آتي بنفقاته؟

من جسدي الذي نحل؟ أو عقلي الذي تشابهت عليه التواريخ والتقاويم، وحتى الشخوص؟ أو من قلبي الدامي المتهالك كرقعة ثوب مهلهل؟!

وأنى لمعاناته أن تنقضي، وأعود أرى الأيام بمرآة الأحلام؟

من قال إني أقبل وإني سأرتضي بهذا؟

وفوجئت من نفسي بدبيب خافت يباغتني بين الأنين والتأوه

والنحيب يردد مقالة قيس!

ويلي!

أي حمق أرتكبه؟ وأي جرم أقدم عليه!

قيس هلك وهو حزين، وهو غاضب من الدنيا، ومتوجع من ليلي

وضال في الصفراء!

والله.. ما كانت صورة أرسمها لحالي أن أقبض حزينة ناقمة على

الدنيا، وضالة لا أجد لروحي خلاصًا ولا من أسري براحًا!

فجلست، وخبرت نفسي عن مألنا، إما إصرار على نزع ما هو في
الوجدان منقوش، فلا ندري بعدها أنصل مأربنا أم نهلك دونه، ولم يصبنا
منه إلا عناء المحاولات ووَعَثَاء التجارب؟

أو نكن كما قدر الله، نرضى بما كان منه، ولا نكره ما وقع على
الفجأة: فتدوم طاقة العطاء النابعة من داخلنا، المشبع بالحب وبريق
الرحمة والحنو الصادر من ألم وأنين يخالط الأنفاس حتى يأذن الله ما كان
مفعولاً؟

إن ثبتنا.. كنا في حالنا المألوف حتى نلقى المحب، ورب المحبوب..
وإن نزعنا وبدلنا بما هو خير منه لنا.. سعدنا سعادة تترجي إكمالها
في دار الخلود بعد نوال العفو من الودود.
وأنا أحسب أن الله لطف بي وبقلبي فمازلت أقدر على الكلام
والكتابة حتى الآن.

ووجدتني أنا وقلبي قد أخذنا الحب وتركنا الأسى ينسل رويداً مع
كل خطوة نسيرها على الطريق.

فالحمد لله!!



"الحبيب هو ستر الدنيا، وعفة الروح، وجليس الجنة إن

شاء الله"

أمنية الشرنوبي

Medad Book-Store

كمال الدين

جاءتني إحداهن تسألني: ما رأيك بالزواج؟
فضحكت قدر ما لم أضحك منذ الفاجعة.. ضحكًا مريئًا، كأنه
البكاء!

وهل بهذا رأي؟!
في سني دراستي الإعدادية قرأت عن أسطورة يونانية لكاتب عظيم
تحكي عن فكرة نصفي الروح، وهي أن الروح عندما تُخلق تقسم نصفين،
يسعي كل منهما للبحث عن الآخر.
قد يجده؛ فمهنًا ويستقر، وقد لا يجده فيرتبط بأي نصف آخر
يجد فيه بعضًا منه؛ فيشقى حينًا، ويسعد حينًا.
وتنتهي آجالنا، وعند الله يرى كل واحد نصفه الحقيقي، وقد
يعجب أنه كان أمامه طوال الوقت ولم يلحظه، أو كان في أقصى الأرض،
وما كان له أن يلقاه أبدًا.

فأجدني أعجب كل العجب أن يُطرح سؤال كهذا..
وهل بعد اقترانك برفيق خير؟
ما كان ليملكني الفقد لولا أنني أحب صحبة "عَمْر"..
ما كان ليقدّر على فؤادي وَجْدُ لولا أنني أشتاق المعية، ويُهك قلبي
داء التعلق.

وكنت أود لو أتزوجه وأقرن أسماء أطفالي بكنيته آخر الكلام.

الزواج هو الشراكة الوحيدة التي لا تخرج منها خاسراً إن أحسنت الاختيار،

لا بنود ولا عقود مُكبلة.

وحدها عهد الروح التي تتواءم حين تتقابل وهي مُعينة وداعمة وأسرة، نصفٌ يأنس بنصف فيتحد معه، شريك يسد فجوات شريكه ويقومه ويعاونه ليصبحا سويًا إنسانا قويما مصححًا مفكرًا، وتنشأ أسرة تقوم على دعائم الحب والمودة والإيثار وسد ثغرات الشيطان سعيًا نحو الجنة.

أن ترى آخر خاصتك، مثيلك ومكملك وشريكك يفهمك حين تلوذ بالصمت، ويسمع صوت صمتك حين يعلو الضجيج، يخاف عليك كأنك نفسه، يحبك أكثر مما يفعل لنفسه، يرفق بك حين تقسو على نفسك، أو يقسو عليك فيعتذر معلناً هيامه وعشقه، وتفكر فيما يثير ضيقك فتصطدم به في عطفة الذاكرة فتبتسم، وتجد الضيق قد زال، والحب قد جاء وحل، لا تجد غضاضة ولا حرجًا في ضعفك النفسي والخُلقي أمامه.

تراك جميلًا في حضوره، ولا تدري كيف حلت هذه الوسامة على محياك، ولا من أين اقتبست الحسن ذاك؟

وتجد نفسك حين تدعو يسبق اسمه على لسانك، وتتذكر في آخر الدعاء أن تذكر اسمك، تجده غطاءك وأمانك وعدتك وعتادك.

ليكن داعمك الأول، ومشجعك الذكي، وملهمك الأكبر، يكن ستر الدنيا، وعفة الروح، وجليس الجنة إن شاء الله.

الزواج قربي لله عز وجل، سنة الدنيا وكمال الدين، وبهجة الفؤاد
بوصل المحب المقيم فيه.

السؤال عزيزتي الذي لا بد أن يُطرح..

أي الأرواح تشقى؟

مَن اجتمع شطراها، وإن اختلفت أزمנתهم وحيواتهم بين دنيا
وبرزخ؟!

أم من تشابه على نصفها وعاشوا معًا عمراً وأحدًا، في زمان واحد
ظنًا منهم أنهما واحد صحيح؟!

الزواج هو الأصل في الكون..

بل - والله - هو الأصل في كل شيء..

هو أجمل ما يمكن لفتاة أن تفعل، لا حياة بدون شريك..

الرفقة تعين على نوائب الدهر وشدائده.

لا شيء يُفضّل أن تزوج الصبية بعاشقها الصالح؛ فيرعاها
وتُراعيه، ويُنشئان بيتًا قوامه الود واللين وحب الله بارزا.

هذا أساس القول في كل حال.

والمُحِبَّة المخلصة التي فقدت شريكها حالها أيضًا يشبه هذا،
لكن هنا يكن القلب هو مناط التكليف، فكيف نكلفها بما لا يطيق القلب
ولا يهوى

كيف نسكب داخل الوعاء وهو ممتلئ حتى يتناثر هنا وهناك

وتزداد الآثار؟

في حضرة الألم

ما الحكمة من هذا؟ وما الدهاء فيه؟
نحسب أنها تنشغل إن تزوجت، وهو صواب في بعض الحالات،
وفي أكثرها هلاك.

الحب في القلب معقود يزداد قوة، إن مُنعت عن وصل المحبوب
قسراً أو انتزعه الموت على حين غرة.
هي أدري الناس بها..

صدقني.. هي تدعو كثيراً الله أن يرحمها من هذا الحب الساكن
المستقر داخل وجدانها، وأن يجنبها لهيب فراق الغائب، وأن يمن عليها
بالراحة.

لذا، أستحلفكم بالله ألا تغالوا في نهرها أو زجرها، لا تخفوا
أشياءها الجميلة من أمام ناظريها؛ فتجزع وتزداد تشبثاً يائساً.

لا تقطعوا ذكر المحبوب عن أحاديثكم معها فجأة، هي إن
استوحشت الكلام بدونه؛ انقطعت عنه ولاذت بصمت مطبق.
لا تحسبوا أنكم تقلبون أوجاعها بذلك!
صدقاً.. أوجاعها لا تنام!

بل - والله - إنها تأنس وتعتاد الألم الناتج عن ذكره، أو نطق
اسمه حتى يتخدر عقلها ومواطن الحس في نفسها، فلا تهلع، وتبكي في
هدوء.

تبكي كما تؤدي الصلاة في سكينة وتؤدة وأناة، في تبتل وخشوع
تنساب تهديدات الروح.

في حضرة الألم

لا تبدلوا وضعية الأشياء في غرفتها إلا لو طلبت ذلك؛ لأن عقلها
يلجأ لحيلة دفاعية فيعاند، ويحفظ صور الأشياء كما كانت، ويبقى ثابتة
لا يسمح لما يأتي بعدها أن يحل محلها في الذاكرة فتبقى بائسة طويلاً.
والألم الذي كان له أن يبرأ أو يخف وطئه في شهر، قد تنقضي
أعوام وهو بنفس لذع الخبر الأول!

دعوا ذاكرتها تمتلئ بالقديم والجديد، فيغلب أحدهما الآخر كما
يعينها الله، لا بجهدنا العاجز الذي يؤدي إلى نتائج غير محمودة العواقب لا
قدر الله.



الفصل الخامس
(وحدك في مواجهة الأوجاع)

Medad Book-Store

طرق مُجرّبة

١. لا تأخذي العزاء، لمدة تتجاوز الثلاثة أيام أبدًا!

ففي هذه المجالس تمتلئ الصدور بمشاعر كثيفة سلبية، وأنت الآن واهنة ضعيفة لا تقدرين على صد هجومها، فربما تصيبك بالوهن والضيق أكثر.

ولا تنعزلي تمامًا، حتى ينقض العزاء؛ لأن المواجهة الأولى لك مع المحيطين ستكون صادمة لك، ولحقيقة جديدة ما زال عقلك يرفض تصديقها.

اكتفي بالصمت، لا تجهدِي ذاتك بالرد على المعزين فيكيفك أنين قلبك الذي يصم الآذان حولك!

٢. كالشمعة لا تكوني:

إن هاجمتك الذكريات الجميلة.. ابكِ، ابكِ كلما أردت البكاء فقط، في أي مكان وكل زمان، ابكِ في عملك، في المصعد، في السوبر ماركت، أمام حارس العقار، ابكِ حينما تشائين، وللناس لا تكثرين.

إن تعجبوا منك حينًا.. بعدها يألّفونك

وإن تحدثوا عنك زمانًا.. غدًا يملونك

ويبحثون عن حكاية سواكِ

أما أحببتك المهتمون لأمرك فخبّريهم أن في ذلك لك دواء، وأن

البكاء يريحك، وأنك تكونين بعده على مايرام.

في حضرة الألم

أبك؛ لأن بكتمان دمك تتحجر مقلتك، تصبحين كما الشمع!
مظهرك صلب لكنك ضعيفة هشّة لا تصمدين أمام أقل المؤثرات،
وينصهر قلبك ويزبل.
أما البكاء فهو حالة عارضة تعبرين بها عن حزنك، والحزن كما
الطفل حينما يكبر.. يشيخ ويوهن.
الحزن لا يدوم، وكذا البكاء، لكنك حميت ذاتك أن تكوني هشّة
من الداخل.
اجعلى أضعف ما فيك ظاهرك، لكنك بالداخل لا تفقدين سبل
النجاة وتذكري:
أنك تصبحين جميلة جدًا حينما تتكحلين بالدموع المشتاقه
عزيزتي!

٣. الأرنب والسلحفاة:

في الصغر كانوا يحكون لنا قصة السباق بين الأرنب والسلحفاة في
الوصول للهدف، الأرنب تعجل المسير ولم يصل، والسلحفاة دأبت على
الطريق حتى بلغت هدفها المنشود.
وأنت ذات هدف منشود وهو التغلب على القهر والألم، لذا كوني
دؤوبة، وليس بالضرورة سريعة.
تمهلي.. لا تحدثي ذاتك بأسئلة مثل:
إلى متى سأبقى هكذا؟
ولا متى أتخلص من هذه الكآبة؟

كيف سينتهي هذا الحزن؟ إياك.. فجراحك ليست هينة لتستهيني بها، أمهلي ذاتك فرصة التعافي كاملة.
ولا تخرجي من صومعتك الحزينة - فقط - خشية إغضاب أهلك أو حتى رحمة بهم..

ارحمي نفسك أولاً فهي المكلومة: لأن جراح النفس إن لم تهدأ كما يجب تترك ندوباً لا براء منها ولا شفاء، انتظري حتى تخبرك نفسك أنها بخير لا تبالي بقلوب محبة، لأجلك متأمة ..
قدرهم، وأكبري في نفسك معروفهم، لكن لا تتعجلي لأجلهم الشفاء، افعل ذلك فقط لأجل نفسك.

٤. استسلمي !

تذكري أن ألم فقد عنيدي، لا يبارحك إلا إذا سلمت بحقيقة وجوده الطاغية، لا تهجري الصور .. صور فقيدك لا تبعديها عن ناظريك مخافة الألم.

انظري لصوره أمامك كل حين، وكلما رأيت وجهه ابتسعي بالرضا، فقد كان يحبك باسمه أيها الجميلة.

حالة الشجن التي تراودك ستحبيها؛ لأنها أكثر حالة ستشعرين فيها بصحبة فقيدك، وأنه جوارك، وملء أنفاسك، ويسري منك كما تسري الدماء !

حالة الشجن هي حالة من اللطف يمنها الله - اللطيف - علينا نحن المكلومين؛ لأنه رفيق بنا، يعلم أننا بدون أحبتنا نهلك، ويصينا الجنون لو انقطعت كل صلاتنا بهم؛ لذلك حينما تنتهي حالة الشجن الأثيرة تلك ستشعرين بحب الله كثيراً. ستملأك النشوة بقرب الله.

في حضرة الألم

تذكري كلمات كان يلقيها على مسامعك فتضحكين، ورددتها
لنفسك ستلمسينه داخلك كما لو أنه - يقيئاً - مائل أمامك.

فوالله ما هجر محب حبيبه بالموت، بل هو يسكنه بالمعنى الحرفي
للكلمة حينما يغيب تحت التراب.

لا تحسبين أنك بإبعاده، وتناسي كلماته، وغض طرفك عن كل ما
يذكرك به تعينين نفسك على الصمود!

على العكس عزيزتي الحزينة، أنت بذلك تخيطين جرحاً نازقاً
بخيوط بالية قديمة لن تجعله يلتئم، بل هي تزيد الوجع، تجعل الدماء
المتدفقة ملتهبة.

جراحك المثخنة تصرخ فيك أن تعيرها انتباهك وتضمديها بلين ولا
تتجاهلها.

خبري روحك أن حبك له لم يكن ذنباً جلبتبه لنفسك، وبات
وجعاً برحيله، ولم يكن إثماً تتمني لو أنك أقلعتي عنه مبكراً.

ومحاولاتك المستميتة لمقاومة الحزن، وتقبل الحياة في غيابه
ليست عيباً تلومينها عليه.

لا يا عزيزتي..

صدقي واقع أن الرفيق رحل، وأن الحبيب غاب ولم يهجر، شتان
الفارق.. الغياب موجه أيما وجع، لكن الهجر مميت.

ترك فراغاً مادياً مليئاً بتفاصيله وأحلامه وابتساماته المستبشرة.

فراغ مليء بك أنت، بنبضك وفرحك وإيمانك الواثق به، أنه لم
يخل بعهدته معك.

اهنئي بالأأيها الجميلة ..

فالمحب لا يهجر قلب صفيهُ بالموت، بل هو يسكنه للأبد.

٥. جسدي المشاعر:

اكتبه - عزيزك - في كل أوراقك، في كل أوقاتك وجل حالاتك،
اكتبي له واكتبي عنه، واكتبي به.

حدثه واحك له كل ما يجول بال خاطر، عبري عن شوقك
لنظراته، عن الوحشة في غيابه، عن وهنٍ يصيب فؤادك بعده.
واستعدي..

لأنه عما قريب يأتيك الحنين ضيقاً ثقيلاً، لا يغادر سريعاً، حينها
ستعايشين قسوة الواقع وغيابه المفزع!

الأشجان إذ تحلُ يحلو لها المقام لو تعلمين.. فتسلجي.
اهرعي لكلماتك تلك، كتاباتك عنه اقرئها كما لو أنك تهديدين
طفلك القلب.

اقرئها مراراً وتكراراً على مسامع قلبك الملتاع، سيسكن كما
الطفل؛ لأنه حينها سيصدق أنه مازال بإمكانه الحديث معه، والإفصاح
عن مشاعره له، وأن الحبيب الغائب يسمعه ويقراً معه.

حوّلي مشاعرك لمادة ملموسة تستطيعين رؤيتها وسماعها والنطق
بها..

اطلبي من أصحابك وجلسائك أن يحدثوك عنه وعن مواقفه
المضحكة معهم، وعن أول لقاءاتهم به، وكيف كان حينها؟

أو أي حديث به ذكر طيب عنه - فوالله - إن الروح تأنس بذكر
الحبيب، ويمهداً أنيتها، وتسترد عافيتها.

بتلك الأحاديث تخبرين عقلك أنه مازال متجسداً حولك، وليس طيفاً يسكنك وحدك، وليس مَسًّا أصاب عقلك بالجنون!

صديقي حدسك ..

حبيبك الراحل معك في كل حين، وإن تعذر عليه إخبارك بذلك. تأكدي عزيزتي أنه لو خُير الحبيب - والله - ما اختار فراقك ولا رضي بوجعك!

٦. صلي أحبته:

وأول الأحبة أنت، كم كان يهيم بك صباة!! هجرك لروحك وأحلامه فيك وإهمال قدراتك ومزاياك أيتها الحسناء الحزينة يؤذيه!

ارتدي ثياباً جديدة مختلفة كلياً عما كان عندك من ملابس، لا ترتدي الأسود طويلاً. وإن كنتُ أعيد عليك وصيتي ألا تتعجلي نفسك، وأمهليها وقتها الكافي لتقرر وحدها.

العين الحزينة تزهد الألوان، بل تستاء منها، وإن لم تجاهد بها عن ذلك غلبتك وألقتك الكآبة والدموع.

اطلبي برّاً أمّه الثكلى، وترفقي بها، عسى تدخلين الجنة بدعائها.. افسحي مجالاً للآخرين أن يحدثوك عن صعوبة فراقه، وإن كنتِ أنت صاحبة نصيب الأسد من الحزن.

فهم أيضًا بحاجة ماسة للبوح عمّ يعمل بصدورهم دون التخرج أو الخشية دومًا أن ذلك يجرحك أو يؤذيكَ.

٧. أقلام ملونة !

اكتبي بها أحلامك المؤجلة، الجميلة، الرائعة، المذهلة، الباسمة، السعيدة، الحلوة، المجنونة، الحانية، المدهشة، الغير متوقعة.
ثم احتفظي بها في صندوق خاص بك واكتبي عليه "ودائع عند الله"، فكرة مسالمة بسيطة جدًا، تيرئ عقلك لتقبل عدم تحققها الآن، وتمنحه بعض السلام والطمأنينة، حيث اليقين الذي لا يزول أنه عند الله لا تبتتر الودائع.

٨. الحياة قرار:

طاقة الحب المنكسرة فيك لا تتركها فتدبل وتدبلي معها، ألا تعلمين أننا بالحب نحيا؟!
لملي شتات نفسك، لا تمنحي الذكريات فرصة إيلاملك، اجعلها وقودك لتنهضي.
فوالله.. ما منحك الله حبًا كبيرًا وصادقًا ومحبًا رائعًا كهذا إلا ليقويك ويشد أزرك، ويواسي فؤادك.
انظري حولك ستجدين كل مَنْ هُم في محيطك بانتظار شعاع نور من فرحتك، وطاقة من قوتك.
اعتني بأملك المتألّمة لأجلك، وإخوتك الذين يتمنون لو اقتطعوا الحزن من قلبك ليخففوا عنك، وأصحابك الذين أصابهم الكدر لأنينك

في حضرة الألم

وفزعك، أشيائك، أوراقك، جيرانك الذين يتربصون بكل جديد منك،
وأقربائك الذين يرقبون أفعالك.

تخيلي كل هؤلاء بانتظارك أنت لتقرري الحياة!
لا تبخسي حزنك قدره، قسمًا إنه لحزن عظيم.. فكوني على قدر
وجعلك.

وكوني عظيمة!

ولا تضني بحبك، وخبري العالم كم هو عميق ورائع وملهم.

تذكري ..

لا يعرف المرء الحياة حتى يعرف الحب، ولا يعرف الحب حتى
يعرف الموت!!

والآن..

أنتِ عرفت الموت واختبرتِ الحب بفضل الله، فلا خوف عليك،
الآن ستكون الحياة أيسر مادمت عرفت السر بإذن الله.
كوني أهلاً لهذا الحب الذي أودعه حبيبك فيك، وأمهري الدنيا،
وقري عينًا بالجنة جزاء لوفائك وصبرك.

٩. كالثلج لا تكوني:

فتذوبين وتتلاشى ملامحك..

الحزن يغير هيكل الإنسان النفسي، يبقيه جسدًا بلا روح، قاوميه
بأن تفكري في فعل ما تحبين، ليس بالضرورة ما كنت تفعلينه في السابق،

الأفضل أن تعيدي ترتيب داخلك من جديد كأنك طفل يولد ويبدأ أول مراحل في اكتشاف ذاته والعالم من حوله.

راجعي كل ما كنتِ تفعلين، أدخلي عادة، أو سلوكًا، أو مهارة، جديدة لحياتك لتتعمقي في تعلمها وإتقانها وإجادتها، وبذلك تحدثين بعض الضجيج داخل عقلك الذي يحافظ على سكونه لكي يعيد تكرار ذكرياتك الحزينة فيؤلمك.

لا تبحتي عن الشفقة ولا تنتظريها الآن، فهي مُكبلة، وأنتِ بك من قوة الله وقدرته..

ابحثي عن الإلهام، وكوني مُلهمة لكل من حولك.

١٠. أنتِ وعاداتك السلبية مثل:

(العصبية أو السباب أو الصوت العالي..)

العادة لتتغير يلزمك ٤٠ يومًا، وهذا الوقت مناسب جدًا لفعل ذلك..

الشهور الأولى بعد الفراق تكونين مخدرة الوعي، في حالة سكون وخمول، تستطيعين عندها أن تغيري أبرز أسوأ صفة فيك، وبأقل جهد منك لو أردتِ.

وعندما تمارسين عاداتك الجديدة الجيدة، سيلحظ عليك الناس المحيطون ذلك، وبدؤون الإشادة بالتغيير وتشجيعك ومدحك.

حينها ستشعرين أنك تتقدمين، وتحسن حالتك - فعليًا - كلما تذكرتي أنك فقدتِ حبيبك الرائع، ستدركين حقيقة أنكِ بتّ رائعة مثله، أو حتى بسببه، هو الذي حرك فيك دافعًا نحو الأفضل، وبهذا نجد بعض العزاء لنفوسنا المسكينة منذ رحيله.

وكلما ضعفت عزيمتك وطغت أوجاعك تذكري:
جراحك هي النوافذ التي يعبر منها النور إليك، كما يقول مولانا
جلال الدين الرومي في ترجمة عبد الرحمن أبو ذكري.

١١. الحكايات:

اقربني حكايا الأناس فقدوا أحبهم واستمرت حيواتهم، لا تنصتي
لمقولات مثل:

- الحياة لا تقف على أحد.
- لا أحد يموت برحيل أحد.
- الحزن يهون والحياة تستمر.

وتأكدي أن كل هذه الكلمات كذب!

وأن كل هذا محض هراء!

من خبرك هذا يريد أن يريح قلبك، لكنه عابث أخطأ، أتدريين

لماذا؟

لأن الحزن لا يهون - وحده - لا يزول للعدم، بل هو طاقة لا بد
أن تتحول، إما لمواصلة الحياة كبقية البشر فقط، وإما للخلود.

وأنت بمحتنتك القاسية تلك، وطعم العلقم الذي لا يبارح الحلق

رغم الأيام لست كبقية البشر..

أنت تم انتقاؤك بالمحنة وطعم المر لتكوني أكثر إصرارًا، وتُحدثي

تغييرًا ليس بطفيف.

إن لم تصنعي الفارق بعد كل هذا الحزن المغلف لذراتك، والمقيم في شرايينك، وتخلد ذكراه بعملك وحياتك وتحول حزنك دفقًا للأمل، ونبراسًا للحياة، فأنت ميت ولم تستمر حياتك! أنت لست كالبقية..

ليست الحياة هي نبض في الجسد يسري، الحياة هي الخلود بعد الموت، اعلمي ما يحيي حبك لفقيدك بعد غياب دقائق القلب وتوقف النبض!

قال لي "عُمَر" - رحمه الله - يومًا:

"ليس المهم أن تكون حياتك رسالة، الأهم أن يكون موتك رسالة".
اقبضي على حزنك بعزم وإرادة، ولتعلي أنه لا أحد يموت بعد أحد لكنه ليس بالضرورة يحيا.

فكم من حياة كالموت هي، وكم من موت بعث حيوات!!

١٢. مدي يد العون:

لمن هم على شاكلتك، وألم بهم مُصابك..
"فأنت إن لم تغير حياة أحدهم للأفضل، فأنت تهدر وقتك" كما يقول "عُمَر" - رحمه الله - وطيب ثراه.

واعلمي أن الله يحب المؤمن القوي أكثر من المؤمن الضعيف، وليست قوة الإيمان بالصبر على أذى الناس وأنت صحيحة القلب معافاة النفس، بل هو أدعى وأنت كليلة الروح مُثخنة بالجراح، فاقدة للشريك والمعين، لكنك تشعين نورًا ووهجًا يلهم السالكين لله في دروب الحياة الضيقة العسيرة الحزينة.

اقرئي له سورة "يس" بنية التخفيف عنك وعنه، واطلبي النوم
برجاء أن تلتقوا وترن وجهه، وما كان الله ليخيب ظنك أبدًا.

وفي هذا أمر طريف صار معي أذكره الآن فأهدأ، أني في أول الأمر
كنت لا أنام أبدًا، وقطعت كل صلاتي بالنعاس، حتى احتالت علي أمي أنه
إن نمت سأرى فقيدي؛ فأسرعت أتلف بالغطاء وأغمض جفوني عنوة
حتى أنام..

فلم يأتي النوم أيضًا لإنشغال الفكر بالحزن..

فاحترت كيف أفعل؟! وبكيت، وحينها غلبني النوم دون جهد مني،
ولا أدنى محاولة.

ولما غفوت لبرهة رأيت "عمر" - رحمه الله - مبتسمًا فصحوت وأنا
أجد بعض العزاء.

وهكذا كنت كلما أشتاق لرؤيته فأنام مؤملة أن يأتيني فحينًا
يأتي، وأحيان لا.

ولما كنت أنزعج من الغياب، خبرتني إحداهن تطمئنني:

أن الوقت عندنا في الدنيا يختلف عن المقاييس الزمنية في حياة
البرزخ، ولذا فالشهر قد ينقضي هنا، وهو عندهم مازال يومًا أو بعض
يوم!

لا أدري مدى صحة هذا الكلام..

لكنه كان مريحًا لنفسي، وكلما تأخرت الزيارة قلت: هو يوم أو
بعض يوم.. لا ضير.

اقرئي سورة "الرحمن" لتقري عينًا بمقام فقيدك، ففيها من الوصف عن حياة الجنة، وفيها ألفة، وروعة، وأنس يداعب الروح.
نعم هي الجنة فقط..

التي تخرجك من حالة الفقد والكمد تلك، إنما نشعر بالفقد الشديد في الحقيقة؛ لإفتقادنا الأُنس بحكايا الجنة الحاملة السعيدة شديدة الروعة؛ لتدرك حينها أنه في ضيافة الكريم - عزوجل - وفضله، وأنت هنا في معيته ورعايته.

لعلك بهذا الوجد ترجح كفتك فترفحين بحسن تدبير الله، لا بذكائك وحنكتك.

الجنة: هي أضعاف مضاعفة من أحلامك، هي مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.
هوني لتمن جراحك..

في حديث الجنة .. تعلمين أن الله يجمع كل حبيب مع صاحبه يوم الدين، قال لنا النبي -ﷺ: "يحشر المرء مع من أحب".
وتعلمين أنه يمنحه شفاعة لصفية الذي غادره وتركه بعده يكابد وجع الذكريات ووحشة البعاد، بل يعطيه مكرمة أن يرفعه لدرجته العليا في مكانه من الجنة لكي لا يعاني أثر فراقين في الدنيا وبعد الموت. فلا نشقى في الدارين.

تطمئنين أن الله يخبره وهو عنده أن حبيبه باقٍ على وصله، يدعو له في السراء والضراء، يذكره في كل موضع خير، لا يسלוه ولا ينساه، الله يبلغه منك السلام إن ذكرتيه ورفعتي باسمه يديك للسماء.

في حضرة الألم

أدركي هذا .. ستكونين بخير.. لو أردتي!
تستطيعين إكمال المسير – ولو وحيدة – حتى تصلي باب الجنة.

١٥. القصص:

أقرئها، وتدبري معانيها ستذهل نفسك أي حنو يقطر من آياتها،
ووصف الله لـ "فراغ قلب أم موسى عليه السلام".
حتى أنكِ تندهشين أن الله كأنما يحدثك أنت ويقول لك:
سأربط على قلبك، لا تخافي ولا تحزني، إنا رادّوه إليك ولو بعد
حين".

ما كان وعد ربك إلا حقًا، وما كان ربك نسيًا..
استبشري.

١٦. تسوي الدعاء:

اطلبيه من كل من يظهر لك وده مهما كان، فالدعاء .. دواء، رحمة
مهداة، ينزل الله بها الرحمات والألطف.
ربما بدعوة بظهر الغيب، يطيب القلب الملتاع، أو بصدق نجوى
أحد الأصدقاء، تجمعين برفيقك في الجنة.
لا تستح .. فالدعاء وصال المحبين..
فوالله ما علمت حبًا أصدق من الدعاء بظهر الغيب.. في هذه
الحياة.

١٧. ارفعي الراية البيضاء:

وهو أهم ما في الأمر، سلمي واستسلمي في سجدة، دعي النفس
المشتاقة تبوح للأرض؛ لترتقي إلى السماء كل آلامها وأوجاعها، تناجي الحي
الذي لا يموت، العالم بما في الصدور، تودعها لله في سجدة رضا وإيمان
وخشوع!
سجدة بين يدي الله، راضياً بقسمته وقدره، فرحاً بالمقايضة
الرابحة تلك:
صبرك على عدم حدوث أحلامك البسيطة التي لا تكلف الله بعض
شيء.. مقابل الجنة وما فيها، وما لا خطر على قلب بشر.
تأملِي!!

١٨. الموت هو اليقين:

تأمل حجم خسارتك!!
قد غاب الآن الحبيب بلا رجعة، لن تراه مجدداً، ولن تسمع
صوته، ولا ضحكاته، ولا كلماته العظيمة التي كانت تعينك.
لن تتعلم من أعماله الوقورة الحكيمة، لن يخبرك عن مغامراته
المثيرة، ولن يكتب لك رسائل وحكايات ملهمة.. يا الله!!
يا الله.. كم هو عظيم مبلغ فقدك!
أأخبرك واقعاً أشد؟
محمد بن عبد الله - ﷺ - رسول هذه الأمة، ونبى آخر الزمان،
وعظيم البشرية أجمع، وخير معلم وهاد ومربٍ.. مات!
مات النبي العدنان، ورحل عنا ولم نره!

مات النبي الحنون وهو يشناق لنا، ويدعولنا ولم نحزن!

مات المصطفى الكريم.. ولم نبك!

وبذلك أبى الله إلا أن يتم سنته، وتبلى كل الأعمار، ويرحل عنا كل الأحبة ليخبرنا: (أن الدنيا لا تدوم)، وأن حياتنا الحقيقية في دار الحق عند النبي - ﷺ - المحب الرحيم، ومع الأحبة، والصحبة، والرفقاء.

وقد قال لنا النبي العدنان في ذلك يوصينا: "إذا أصاب أحدكم مُصيبةٌ، فليذكر مُصيبته بي، فإنها من أعظم المصائب".
وتلك أعظم مصيبة قد تصيب الدنيا والقلوب.

نحن ندرك حقيقة أن قلوبنا موجوعة وبشدة.. لكن هول الصدمة، وفزع الفراق ينسينا حقيقة أهم: أن الوجد لا يلبث أن يزول..

هو وجع يوم أو بعض يوم، وغداً تطيب النفوس الملتاعة، وتهن الأحزان ويسكن الأنين، وننال شرف جوار الرفيق الأعلى.. جوار الله!

علمني شيخي قولاً كلما نطقت به شعرت بحنان النبي المصطفى - ﷺ -، كأنني حين أسلم عليه يعرف حالي فيدعولي حتى تسكن نفسي وتهداً، احفظوها عني وعن شيخي الجليل إذ يقول: "صل على الحبيب قلبك يطيب".

صلوات ربي وسلامه عليك يا أكرم المرسلين، يا خير خلق الله
كلهم، صلى الله عليك وسلم يا رسول الله، يا سيدي.



ماذا بعد ؟

بعد كل هذا الحب، وكل هذا الشوق، ومبلغ الأوجاع والأحزان، كل
ماسبق..

كل شيء إلى زوال، لا شيء يبقى، لا دوام..

جئت وحيدة في يوم ذي بهجة، وعشت حبيبة لقلب ذي حنان، ثم رحل
فعدتي وحيدة ذات أحزان، ثم تموتين وحيدة، أرجو أن يكون في يوم ذي
أعراس واطمئنان.

سينتهي امتحانك، وتلحقين بالفقيد قريباً، أقرب مما تظنين، فلا
بأس عليك ولا ريب.

هوني عليك، فعل الراحل ما كان يستلزم وجوده في الدنيا، وما أن
فرغ من الإجابة أن أوان الراحة من وعشاء السفر، فاجتهدي أن تؤدي ما
عليك سريعاً وبرضا وإتقان، وأن تعلمي مراد الله من حياتك، فلا تمرين
على الدنيا مرور الكرام.

فاصبري واسترجعي فقيدك لمالكه وربك ورب قلبك، فالأمر له،
منه وإليه، سبحانه جل وعلا.

رضينا يارب.. فأتَم رضاك، واقبل كل ما كان في ميزاننا يوم نبعث
إليك.



الخاتمة

هذه خلاصة لبعض تجربتي الخاصة، لكنني لست الوحيدة التي
اختبرها الله بها، ولست وحدي من عانى ويلاتها.
كتبت بعضاً منها لعلني أخفف عن الحزاني والمتاعاة قلوبهم،
والممتلئة سكوناً قاتلاً مثلي؛ لنجد معاً سبل النجاة فنحيا راضين.
هي تجربة كل من عانى لفقد حبيب أو صاحب، أخ، رفيق، أو حتى
صغير وليد.

كتبت ما كان نتاجاً لأحاديث مختلفة ومتنوعة مع مصابين
ومصابات بالفقد، أكثر من ثلاثين إنسان من الرجال والبنات والأرامل
الصغيرات، النسوة اللواتي اختارهن الحزن لا أدري لجمال أرواحهن، أم
لقوة جَلْدِهِنَّ، أم لقدرتهن على التحمل والصبر!
اللواتي كن يحدثنني ما أن يعرفن بوقوع قلبي في المصاب كي
يجنبني عناء ما لاقينه هن، وما عاصرته وقت تجارهن الدامية المُبكية.
كن رحيمات بي، ولا أدري بدون نصحن وطيب قولهن كيف كنت سأعبر
هذا المعترك!

كنت لا أصدق أن بقلوبهن كل هذه الآلام..
وبلغ الاستياء مبلغه مني حين علمت كم صعب عليهن التكيف أو
تجاوز الأزمة لسوء تعامل المجتمع والمحيطين معهن، مما أدى إلى تفاقم
الأثر، وبدلاً من أن يتعافين بعد عدة شهور، تبقى تبعات الفاجعة سنوات
طوال.

هو فضل الله علي حين ساقهن إلي، فجزاهن الله عني خير الجزاء.

في حضرة الألم

وهو واجبي أؤديه على من تلحق بنا في هذا الركب.. لا تخافي..
الله لا ينسأك، سيبعث من يعينك ويشد أزرع ويكون نبراسك حتى
تستطيعي رؤية النور داخل صدرك.
أقسم لك يا صغيرتي .. ستكونين على أتم ما يرام!



Medad Book-Store

... هذا ليس كتابًا دينيًا أو علميًا

ولست أنا بفقيرة أو باحثة لكنني بثنتكم نجوى روحي، وصوت أحاديثي مع نفسي، ولأنني أوّمن أن الكتابة دواء والقراءة شفاء، كنت أقرأ كتبًا كثيرة عن الموت والحب والألم ومحبة الله؛ ساعدتني جدًّا، لولاها لضاقت نفسي!

مثل: الروح، ودعة الصابرين: كلاهما للإمام ابن القيم الجوزية. وبشائر المؤمنين عند الموت، وكتاب المنجيات في إحياء علوم الدين للإمام الغزالي. والتنوير في إسقاط التدبير لسيد بن عطاء الله السكندري. ومجموعة الرافي، ومجموعة جبران خليل جبران. رحم الله العلماء والأدباء جميعًا، ونفعنا بنتائجهم، وجعله في موازينهم إلى يوم الدين. هذه تجربة في حضرة الله، ومبعوثه لتهديب النفوس "الألم". فالحمد والشكر والثناء لك يا الله، يا أكرم الأكرمين، يا ذا الجود والكرم، واللطف والعفو والمنن. الحمد لله رب العالمين جابر المنكسرين، رضينا يارب.

في رعاية الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مرثية ابن العاصي

– رحمه الله –

عزيزي في الله.. "عَمَر" ..

يا من جمعني بك سر من الله عظيم، رزق يغدقه الله على من
يشاء من عباده ويسلبه ممن يشاء.

معاناتي في غيابك كانت قاتلة لكنها مُلهمة، أذكر كل إحساس
راودني في كل لحظة مرت.

كل دمة كانت تغافلني أو تجاهرني وتفر هربًا من مقلتي، أذكر
الكثير، أذكر الوجوه، الأوقات، المشاعر والنظرات والعبارة.

ساعات نوم لم تكن تنقضي، صباحات لم تشرق فيها الشمس، الشوارع
المزدحمة والسكون المريع داخلي.

آيات الذكر الحكيم، أصوات الموسيقى الراقصة في كل مكان،
وحق الهمسات المحتبسة داخل صدور قائليها.

مذاق فاكهة الموز التي لم أكن أبتلع سواها لأيام طوال، طعم أول
ملعقة أرز التهمتها بهم بعد فراق دام كثيرًا.

أكوام الشيكولاتة التي طال مكثها في غرفتي ولم يكن ليأتي عليها
ليل قبل ذلك.

أذكر أخي وضماته الدافئة الموسمية رغم عميق الجرح بداخله.

وكل شيء .. حرفيًا.. أذكره يا "عَمَر".

أذكر ما كان قبل الفاجعة ..

في حضرة الألم

بكل حلاوته وطلاوته وبريقه ونقائه وعفويته المطلقة وبساطته
النابعة من قلب القلب.

انقضى عام كالدهر، ما حسبت بعده تأتي سنون أخريات..

لم أمت يا "عُمَر" .. أنا أتماثل للشفاء.

أسترد عافية بدني وروحي وقلبي ومعهما أفهم مغزى الحياة، كُنْه
الحياة، استمراريته ودورانها وليس ثباتها واستقرارها.

فهمت أن الحب ليس حب عاشقين لكل منهما أمل في التمتع

بالأخر بما يبيح الله فقط.

أنت علمتني يا "عُمَر" أن أجيد ألوانًا مختلفة من الغرام، ألوانًا

أعظم وأعمق وأسى.

تعلم قلبي التسامح والمحبة..

أن أرضى رغم هول المصاب فرحًا لقدر الله، وأن اسعي نحو

السكينة وإن صعب الطريق، وأن أفعل ما يسعدني ويرضيني دون اكتراث

لكل ما يقال، وأن أكون كما يحبني الله حين يريدني أن أكون لا حيث أنا

أشياء.

أخرجتك من قلبي للناس يا "عُمَر" .. بملء إرادتي..

رأيت أنه من حقك علي أن أحكي عنك، ولا أضن على التاريخ أن

يسرد حكاية فتى صالح مثلك، ليعلم أن الخلود ليس للعشاق فقط، بل

للرائعين في كل مكان، لحسني الذكر وطيب المعشرو ليني السلوك.

لم يخلقك الله لأجلي؛ لأنجب منك العيال وأعد لك الحساء كل

مساء، بل خلقك الله دليلاً أن هناك من يسعه أن يكون ملهًا ورائعًا بكل

ما تحمل الكلمة من معنى.

وساقفك في قدري وأيامي لأكتب للعالمين عنك، فما كنت أنا إلا
أداة يستخدمها الله فيما يشاء ووقت يشاء.

لم تعد حكراً علي..

أردتُ ذلك وسعيت حثيثاً لفعله.

لم أشأ أن تُدفن مكرماتك وطيب نفسك وجميل صفاتك في
صدري، أنا بحاجة لبراح في صدري يمكنني من استئناف المسير والتأهب
لحب جديربي.

أنا أحب الحب يا "عَمَر" ..

وأحسب أنني أجيد الغرام.. أنا أحب الصغار وأنوي تعلم كيفية
إعداد الحساء اللذيذ لأقدمه لشريكي المرتقب.

أيا "عَمَر" ... يا مهاجرًا إلى الله..

سلام عليك.



الفهرس

- إهداء..... ٥
- مقدمة..... ٧
- الفصل الأول: ١١
- لم تقرأ هذا الكتاب؟..... ١٢
- القوارير..... ١٥
- أنا و"عُمر" والضيف الثقيل..... ١٩
- من الزائر؟..... ٢٥
- كيف أكرم الضيف؟..... ٣٠
- المزارع ودار الاختصاص..... ٣٢
- سلة الزجاجات..... ٣٥
- الرحلة قصيرة..... ٣٩
- الفصل الثاني: (المجتمع والقوارير)..... ٤٣
- ١- خالي الشاب..... ٤٥
- ٢- هل أنت أحمق؟..... ٤٨
- ٣- جارة جدتي..... ٥١
- ٤- أعراض الجسد..... ٥٤
- ٥- لا تحزن..... ٥٨
- ٦- الصبايا..... ٦١
- ٧- الشافعي والبنات..... ٦٦
- ٨- زينب والحب..... ٧٠

- ٧٢..... ٩- حديث أم سلمة.....
- ٧٨..... ١٠- الرجال.....
- ٨٣..... ١١- الرجال ٢.....
- ٨٦..... الفصل الثالث:(تربية النفوس).....
- ٨٨..... ١- سنة أولى فقد.....
- ٩٦..... ٢- اختيار الله.....
- ٩٩..... ٣- استئناس المعاناة.....
- ١٠١..... ٤- مداخل الشيطان.....
- ١٠٣..... الفصل الرابع: (الثكالي والغرام).....
- ١٠٥..... ١- كيف تفعل الثكلى؟.....
- ١٠٧..... ٢- تعجل الشفاء.....
- ١١٠..... ٣- فقه القلوب.....
- ١١٤..... ٤- أنا وقيس.....
- ١١٧..... ٥- كمال الدين.....
- ١٢٢..... الفصل الخامس: وحدك في مواجهة الأوجاع.....
- ١٢٣..... (طرق مجربة).....
- ١٢٣..... ١- لا تأخذي العزاء.....
- ١٢٣..... ٢- كالشمعة لا تكوني.....
- ١٢٤..... ٣- الأرنب والسلحفاة.....
- ١٢٥..... ٤- استسلي.....
- ١٢٧..... ٥- جسدي المشاعر.....
- ١٢٨..... ٦- صلي الأوبة.....
- ١٢٩..... ٧- أقلام ملونة.....

- ٨- الحياة قرار..... ١٢٩
- ٩- كالثلج لا تكوني..... ١٣٠
- ١٠- أنت وعاداتك السلبية..... ١٣١
- ١١- الحكايات..... ١٣٢
- ١٢- مدي يد العون..... ١٣٣
- ١٣- يس..... ١٣٤
- ١٤- الرحمن..... ١٣٥
- ١٥- القصص..... ١٣٦
- ١٦- تسولي الدعاء..... ١٣٦
- ١٧- ارفعي الراية البيضاء..... ١٣٧
- ١٨- الموت هو اليقين..... ١٣٧
- ماذا بعد؟..... ١٣٩
- الخاتمة..... ١٤٠
- مرثية ابن العاصي..... ١٤٣
- الفهرس..... ١٤٦